"توظيف الأمثال العربية في كتاب المؤرخ التركي مصطفى نعيما" روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين" دراسة تاريخية تأصيلية"

الدكتور/ مجدي حسانين إسماعيل حسن

كلية الآداب جامعة طنطا

قسم اللغات الشرقية

شعبة تركي

المستخلص:

يُعدُّ توظيف الأمثال في تدوين الأحداث التاريخية لونًا من ألوان الأدب الرمزي الذي يلجأ إليه المؤرخ الأديب تعبيرًا عن رأيه في حدث تاريخي عندما يتعذر عليه التصريح، وحفل التاريخ التركي بثلة من المؤرخين فقهوا علم التاريخ، ورأوا أن المهمة الملقاة على عاتق المؤرخ لا تقتصر على سرد الأحداث والوقائع فحسب بل إن مهمته تسمو فوق ذلك بما تشمله من استنباط الدروس والعبر بقدر يساهم في استشراف المستقبل. وكان المؤرخ التركي مصطفى نعيما مؤرخًا ذا فكر إصلاحي خبر أوضاع الدولة العثمانية التي اهتزت هزات عنيفة في أواخر القرن السابع عشر، فاختل توازنها الداخلي وكادت تفقد هيبتها العالمية، وخيف عليها أن تلج عصر التردي والسقوط، فرأى في توظيف الأمثال العربية في كتابه التاريخ الذي صنفه بالتركية سبيلًا من سبل الدواء الناجع، فكانت الأمثال العربية في كتابه مجالا للتنفيس عما يكنه في صدره ولا يتسنى له الإفصاح عنه، كما كانت توكيدًا لرأيه عندما كانت تسنح له الظروف الكتابة بأريحية عن فكره الإصلاحي دون خوف أو وجل. لا سيما أنه مؤرخ رسمي ومن رجالات القصر العثماني، وقد عرّضه فكره الإصلاحي ونقده السلاطين وكبار رجالات الدولة لمضايقات كثيرة.

الكلمات المفتاحية: توظيف الأمثال العربية، التاريخ، مصطفى نعيما.

The Use of Arabic Proverbs in Muṣṭafā Na'īmā's book Ravżatu'l-Ḥüseyn fī ḫulāṣati aḫbāri'l-ḫāfiḳeyn· A Historical Fundamental Study.

The use of proverbs in documenting historical events is a form of symbolic literature that historians employ to express their opinions when they cannot speak openly. Turkish history is rich with historians who viewed history not merely as a narration of events, but as a source of lessons and insights that should be heeded to ensure the state navigates safely through the turbulent waves of wars and upheavals.

One notable figure is the Turkish historian Mustafa Naîmâ, a reformist who witnessed the decline of the Ottoman Empire, which was on the verge of falling into a state of deterioration and collapse. He excelled in using Arabic proverbs to articulate effective remedies for the empire's issues. These proverbs served as a means for him to express what he felt in his heart but could not openly declare. They also reinforced his views when circumstances allowed him the freedom to discuss his reformist ideas without fear or hesitation. Notably, as an official historian and a member of the court, he often faced harassment for criticizing prominent state figures.

Key words: Arabic proverbs use, history, Muṣṭafā Na'īmā.

مقدمة

أهمية البحث: يُعدُّ المؤرخ التركي مصطفى نعيما في طليعة المؤرخين الترك الذين حملوا بين ثنايا كتاباتهم رؤية سياسة، فدوّن تاريخ الدولة العثمانية في القرن السابع عشر مُضمنًا كتابه رسائل أدبية سياسية لإصلاح أوضاع الدولة العثمانية التي عاشت في عصره سنوات من الركود بعد أن كانت ترفُل في نعيم المجد أحقابًا، فعمد إلى توظيف الأمثال العربية في تدوين الأحداث التاريخية باعتبارها وسيلته المتاحة لتشخيص الداء الذي أصاب الدولة العثمانية في مؤسسة الحكم والمؤسسات العسكرية والإدارية والمالية والفكرية، ولتقرير الدواء الناجع إما تصريحًا أو تلميحًا، وكان توظيفه الأمثال العربية التي تنوعت بين آيات أو بعض آيات من الذكر الحكيم وأحاديث نبوية وأبيات شعرية عربية ومقولات عربية جرت مجرى الأمثال نوعًا من المقاومة بالحيلة ومجالًا للتنفيس عما يكنه في نفسه ولا يتسنى له الإفصاح عنه، وتفاوتت حيلته من خلال الأمثال بين النقد اللاذع والنصح الخفي، وبيان العبرة من الأحداث، وإيضاح رأيه في تتابع الأحداث بالمثال، وقد أفردت هذا البحث عن توظيف الأمثال العربية في كتاب مصطفى نعيما "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين"، فهو جديد في بابه، ويسلط الضوء على الآراء الإصلاحية التي تبناها المؤرخ التركي مصطفى نعيما أول مؤرخ رسمي في الدولة العثمانية من خلال توظيف الأمثال العربية في كتابة التاريخ.

الهدف من البحث: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على كتاب المؤرخ التركي مصطفى نعيما" روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين"، الذي أرخ للدولة العثمانية في القرن السابع عشر، بغية معرفة رؤيته في علم التأريخ، ودوره الذي اضطلع به في تشخيص الخلل الذي أصاب الدولة، وفي تقديم الدواء من خلال الأمثال العربية التي وظفها للتعبير عن نقده الأوضاع السياسية والعسكرية والإدارية والمالية في الدولة نقدًا بناءً، ومباركته حركات الإصلاح التي تبناها بعض السلاطين وبعض كبار رجالات الدولة، ومدى مطابقة هذه الأمثال للسياق أو مخالفتها له، فضلًا عن تأصيل المنابع التي استقى منها مصطفى نعيما أفكاره الإصلاحية وآراءه التي وردت بين ثنايا كتابه "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين".

الدراسات التي أجريت حول الموضوع: مما يؤسف له أنه على الرغم من أهمية كتاب تاريخ نعيما وعلو مكانته بين كتب التاريخ -إذ كان نعيما أول مؤرخ رسمي للدولة العثمانية، وكان كتابه من أوائل الكتب التي طبعها إبراهيم متفرقة عام ١٧٣٤م في مطبعته التي أدخلها الدولة العثمانية، كما ترجمت أجزاء منه إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت في لندن إبان القرن التاسع عشر- فإن المكتبة العربية خُلُوٌ من دراسة تاريخية تأصيلية عن تاريخ مصطفى نعيما الذي يسع دراسات عديدة متنوعة، كما لم يترجم كتابه إلى اللغة العربية على الرغم مما يحويه بين دفتيه من معلومات تاريخية ذات قيمة عالية عن تاريخ الدولة العثمانية داخليًا وخارجيًا، من أجل ذلك كانت هذه الدراسة التاريخية التأصيلية التي أرجو أن تكون تمهيدًا لدراسات أوسع وأشمل عن تاريخ مصطفى نعيما.

تقسيم البحث: جاء البحث في أربعة فصول إضافة إلى المقدمة وتمهيد للحديث عن الأمثال العربية ومعنى توظيفها، والخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع، وقد جاء البحث على النحو الآتي: خصصت الفصل الأول للتعريف بمصطفى نعيما، فعرفت اسمه ونسبه، وتعليمه، والوظائف التي تقلدها، وعصره، ومصادر كتابه التاريخ، وأثر الثقافة الإسلامية في كتابه التاريخ، والمزايا التي اتصف بها كتابه، وختمت هذا الفصل بالحديث عن مكانة تاريخ نعيما بين كتب التاريخ التركي.

وكان الفصل الثاني بعنوان توظيف الأمثال في مقدمة تاريخ نعيما، أوضحت فيه أن النسخة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة صُدرت بمقدمتين، مقدمة دار الطباعة ومقدمة مصطفى نعيما، وتناولت الدراسة هاتين المقدمتين بشيء من التفصيل، فعرضت مقدمة دار الطباعة والمعاني التي حوتها،

ومقدمة مصطفى نعيما والأفكار التي وردت فيها، فذكرت على لسانه أسماء الكتب العربية والفارسية والتركية التي أفاد منها في تدوين التاريخ، والأسس التي أوجب مصطفى نعيما على المؤرخ اتباع سبيلها في تصنيف التاريخ، ورأيه في فضل علم التأريخ، والفرمان الذي صدر بتعيينه مؤرخًا رسميًا للدولة العثمانية، ثم تقسيمه المقدمة إلى فصلين، الأول: تعريف الدولة والأطوار الخمسة التي تحدث في جميع الدول، أما الفصل الثاني من المقدمة فقد عرضه في ثلاثة عناوين، الأول:الأضرار التي تلحق بالدولة من اعتياد الدعة والراحة، الثاني: زوال الملك بقهر الملوك وجور الوزراء وعنف الأمراء واضمحلال العلم، الثالث: فوائد مهمة عن أرباب السيف والقلم، وختم مقدمته بعنوان: نصائح مهمة وفوائد لازمة، عرض فيه أفكاره الإصلاحية لإصلاح الخلل الذي أصاب مؤسسات الدولة، وكان في كلٍ يوظف الأمثال العربية .

وأفردت الفصل الثالث للحديث عن توظيف الأمثال العربية في تدوين الأحداث التاريخية في تاريخ نعيما، وقد اقتضت الدراسة بعد تصفح أكبر عدد من الأمثال في كتاب التاريخ بأجزائه الستة أن يكون في خمسة عناوين جانبية على النحو الآتي: الأمثال التي ساقها نعيما على سبيل الذم والنقد، والأمثال التي ساقها على سبيل المدح والثناء، والأمثال التي وظفها على سبيل الاتعاظ والتدبر، والأمثال التي جاءت على سبيل التهكّم والسُّخرية، والأمثال التي ذكرها على سبيل التعليل. ولا ريب أن سياق النّص كان الحكم الفصل في هذا التقسيم، وكنت في كلٍ أذكر مدى مطابقة أو عدم مطابقة الأمثلة التي وظفها مصطفى نعيما مع السياق. أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن مستوى النقد عند مصطفى نعيما.

النسخة التي اعتمدت عليها هذه الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على الطبعة الثالثة التي صدرت في اسطنبول عام ١٢٨١ه عن المطبعة العامرة، وجاءت في ستة مجلدات بالتركية العثمانية. صدرت دار الطباعة هذه النسخة بمقدمة ضافية جاءت في اثنتين وعشرين صحيفة، أما مقدمة مصطفى نعيما فقد بلغت خمسًا وستين صحيفة، وخلت مقدمة نعيما في هذه الطبعة من الصحيفتين الرابعة والخامس، وهذه النسخة مطبوع على كل ورقة منها عبارة "مكتبة مجلس الأمة التركي العظيم" بالتركية الحديثة.

الصعوبات التي واجهت الدراسة: واجهت الدراسة عدة صعوبات أبرزها أنني لم أجد فيما أعلم في المكتبة العربية أو التركية على حد سواء بحثًا أو دراسة عن توظيف الأمثال في كتابة التاريخ. ومنها أيضًا كثرة الأمثال العربية في كتاب تاريخ نعيما وتفرقها بين ثنايا عناوين موضوعات الكتاب، مما اقتضى تصفح الكتاب كاملا على تعدد مجلداته، فضلًا عن أن مصطفى نعيما لم يذكر الغرض الصريح من الأمثال التي وظّفها في كتابه، فاقتضت الدراسة القراءة المتأنية لكل حادثة أو واقعة ضمّن نعيما بين ثناياها مثلا عربيًا أو أمثالًا عربية، حتى يمكن سبر غورها واستنباط الأغراض التوظيفية منها، وهدتني قراءة الكتاب إلى أن الأغراض التي وظف فيها نعيما أمثاله في المقدمة اختلفت عن الأغراض التي وظف فيها أمثاله في تدوين الأحداث التاريخية في الكتاب، مما اقتضى الأمر إفراد فصل خاص بأمثاله في المقدمة وفصل خاص عن أمثاله في سائر الكتاب، كما نظم مصطفى نعيما في مقدمته قصيدة عصماء مقفاة بالتركية، وقد استوجب الأمر ترجمتها إلى العربية نظمًا حتى لا تفقد بهاءها وجمالها. وحملت القصيدة بين ثناياها رسائل أدبية سياسية في أهمية التأريخ والمنافع العلمية التي يفيدها المؤرخ من حذقه لغات أخرى إضافة إلى لغته. ومما يجب التنويه عنه أنه تعذر على الدراسة الإحاطة بكل الأمثال التي وردت في كتاب نعيما، نظرًا لكثرتها على هذه الدراسة وتكرار كثير منها في وقائع وأحداث متباينة فاكتفيت بأبرز هذه الأمثال، وراعيت عند الانتقاء ألا تكون الأمثال المنتقاة في غرض وظيفي واحد.

المنهج المتبع في الدراسة: كان المنهج التاريخي عصب هذه الدراسة، فكان الرجوع إلى أصول كتب التاريخ العثماني والمخطوطات العثمانية أساس هذه الدراسة إضافة إلى مصادر اللغة التركية

الحديثة التي تعد من أساسيات هذه الدراسة، ولما كانت الدراسة ترتبط بأمثال اللغة العربية فقد استعنت ببعض أمهات كتب اللغة العربية التي تناولت موضوع الأمثال العربية، وتتميمًا للفائدة المرجوة من البحث خرّجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وصحّحت ماورد في الآيات القرآنية المذكورة من أخطاء طباعية أو أخطاء قد تكون من المصنف، وعزوت بعض الأبيات الشعرية العربية إلى قائلها.

تمهيد

تعريف المثل: وردت تعريفات عديدة للمثل تدور حول أنه" قول موجز سائر صائب المعنى تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة، [١]ومن القضايا الشائكة لدى كثير من الناس أنه لا بد لكل مثل من مورد، وهذا الحكم لا ينطبق على كل الأمثال العربية، فكثير من الأمثال العربية ليس لها مورد،[٢] ويزخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والأمثال القياسية، والأمثال الموجزة هي الآيات أو أجزاء الآيات التي تحتوي على بعض القيم الدينية أو الأخلاقية التي يتمثل بها الناس في أحاديثهم وكتاباتهم وخطبهم، أما الأمثال القياسية فهي ذلك السرد الوصفي أو القصصي الذي يساق لتوضيح معنى ما على سبيل التشبيه والتمثيل.

ونعني في هذه الدراسة بالأمثال الموجزة، ومن الجائز أن نعد الآيات الكريمة أو أجزاء الآيات أمثالًا؛ لأن الناس يتداولونها ليل نهار في شئون الحياة والأخلاق، وبديهي أن هذه الآيات لم تكتسب صفة المَثَلِيَّة عند أول نزولها، وإنما اكتسبتها بعد أن صارت على الألسنة والأقلام في زمن لاحق.[٣] وهذا النوع من الأمثال كثير جدّا في القرآن الكريم، وقد ساق منها جلال الدين السيوطي٩١١هـ نقلا عن كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ٦٢٢هـ ثلاثين مثلًا.[٤]في حين استطاع أحد الدارسين المعاصرين أن يجمع منها سبعمائة مثلا.[٥]ومن هذه الآيات: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"[٦]، "وإن تعودوا نعد"[٧]"ولكم في القصاص حياة"[٨].

الكتب التي اهتمت بجمع أمثال العرب:

كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ٣٩٥هـ

كتاب المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٥٣٨هـ

كتاب مجمع الأمثال للميداني ٥١٨هـ.

الكتب التي اهتمت بجمع أمثال القرآن والسنة:

أمثال القرآن الكريم لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ٧٥٤هـ.

الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ٩١١هـ

ومن الأمثال الواردة في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرًا، إذا لم تستح فاصنع ما شئت، الكلمة الطيبة صدقة، المستشار مؤتمن، اليد العليا خير من اليد السفلى.

وإن استحضار الأمثال وإدخالها في الكتابة التاريخية لا يكون خبط عشواء ولا لمجرد الحشو بل لتعزيز فكرة المؤرخ وتقويتها ولتصل الفكرة للمتلقي بتعبير موجز كُثفت فيه الدلالات والرموز

---

[١] أبوالهلال العسكري، جمهرة الأمثال، ص٤٥. والسيوطي في المزهر ج١ ص٤٨٦، وابن الأثير في المثل السائر ج١، ص٦٢.

[٢] عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دمشق ١٩٨٨م، ص:١٣٠.

[٣] عبد المجيد قطامش، المرجع السابق، ص:١٣١.

[٤] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص:٤٣.

[٥] نور الحق تنوير، أمثال القرآن الكريم وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير، دار العلوم، القاهرة، ص: ١١٢، ١٥٥.

[٦] سورة البقرة، آية: ٢٤٩

[٧] سورة الأنفال، آية: ١٩.

[٨] البقرة، آية:. ١٧٩.

وهو لون من ألوان الكتابة الرمزية. وقد يكون معنى المثل متطابقًا مع النص التاريخي، وقد يكون متشابهًا مع النص التاريخي من بعض الأوجه.

الفصل الأول: التعريف بمصطفى نعيما

أ. اسمه ونسبه: وُلِد مصطفى نعيما في مدينة حلب عام ١٠٦٥ هـ الموافق عام ١٦٥٥م، واسمه الأصلي مصطفى، واشتهر باسم نعيما، وقد حصل على هذا اللقب بعد أن التحق بوظيفة عالية في القصر العثماني وصار من طائفة الكتاب،[9] وهو سليل أسرة مرموقة خدمت في الجيش العثماني، فجده القائد الإنكشاري كوجوك علي أغا، ووالده محمد أغا أحد قادة الإنكشارية ومن الشخصيات ذات النفوذ الكبير في منطقته. تلقى تعليمه الأوَّلِيّ في مدينة حلب، ثم سافر إلى إسطنبول وواظب على تحصيل العلوم في جامع السلطان بيازيد.[١١]

ب. الوظائف التي تقلّدها: التحق بفضل نفوذ عائلته عام ١٦٨٠م بفرقة الحراسات الخاصة بالسلطان وولاة العهد، وهي فرقة متصلة اتصالًا مباشرًا بأغا دار السعادة، ثُمّ التحق عام ١٨٨٦م بكتاب الديوان الهمايوني، وكان يحظى بحماية الصدر الأعظم كوبريلى عمجه زاده حسين باشا[١٣] المعروف برعايته لأرباب العلوم والآداب؛ فقد ساند مصطفى نعيما كثيرًا. وانتقل في جمادى الآخرة عام ١١١٢ه نوفمبر عام ١٧٠٠م إلى وظيفة جديدة، ويمكن التخمين بأنها كانت وظيفة التأريخ الرسمي للدولة العثمانية؛[١٤] فقد كلفه الصدر الأعظم كوبريلى عمجه زاده حسين باشا بنسخ المسودات التاريخية التي كتبها أحمد أفندي ابن شارح المنار؛[١٥] وتناولت الأحداث منذ عام ١٥٩١م وحتى عام ١٦٥٧م، وكانت في مكتبة كوبريلى عمجه زاده حسين باشا، وكافأه على إنجاز هذا العمل وخصص له راتبًا شهريًّا قدره ١٢٠ أقجه، ومن المعروف أن هذه المسودات لم تصلنا وأن النار التهمتها وأحرقت في حريق نشب فيما بعد في بيت مصطفى نعيما.[١٦]

عين مصطفى نعيما مؤرخًا رسميًا للدولة العثمانية عام ١٧٠٠م، وحُدِّد له تناول التاريخ العثماني من عام ألف من الهجرة، الموافق ١٥٩٢م تقريبًا، وحتى عام ١٧٠٠م، وقد ذيله بالحديث عن واقعة أدرنه[١٧] عام ١٧٠٢م، وقدم كتابه التاريخ إلى كوبريلى عمجه زاده حسين باشا بعد واقعة أدرنه. ثم حظي برعاية كل من رامي محمد باشا،[١٨] وداماد حسن باشا.[١٩]

---

9 İsmail Hakkı UZUNÇARŞILI (2011), Osmanlı Tarihi, (6.Baskı),Cilt: IV/ II, Ankara: TTK Yay

١Ahmedi'den Ahmed Refik'e, İstanbul: Bilge Kültür Sanat Yay.s:214.

1 Necdet- ÖZTÜRK Murat YILDIZ, (2013), İmparatorluk Tarihinin Kalemli Muhafızları Osmanlı Tarihçileri, Istanbul 2013,s:54.

1 Halil İNALCIK, (2006), ''Osmanlı Tarihinde Dönemler'', Türkler, Cilt:I, Ankara, 61-72.

١٣ رجل دولة عثماني، تولى منصب الصدر الأعظم من ١١ سبتمبر ١٦٩٧، وحتى ٤ سبتمبر عام ١٧٠٢م.

1 Mehmet İPŞİRLİ, , (2006), "Naîmâ", DİA, Cilt: XXXII, İstanbul, 316-318.

١٥ أحمد أفندي ابن بايرام أفندي زاده، كان والده قاضي بايرام أفندي من سادات القضاة في عصره، وقد شرح كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي، تتلمذ أحمد أفندي على يد أبيه وعلى يد كبار العلماء والقضاة في عصره، صنف كتابًا في التاريخ باسم "الشامل والكامل"، تناول التاريخ من عهد آدم عليه السلام، وحتى عام ١٠٦٠هـ، كما كتب رسالة سماها "وقائع نامه" دوّن فيها الوقائع التاريخية في الدولة العثمانية حتى عام ١٠٦٦هـ، ولم تطبع، وكانت مصدرا أساسيا من مصادر تاريخ نعيما، وتوفي عام ١٠٦٧هـ. انظر بروسه لي محمد طاهر، عثمانلي مؤلفلري، ايكنجي جلد، استانبول، مطبعة عامرة،١٣٣٣هـ، ص: ٨٢.

1 Mehmet İpşirli ,NAÎMÂ MUSTAFÂ EFENDİ (2014), Tarih-i Naîmâ, , TTK, Cilt: I-V .

١٧ سميت بواقعة أدرنه لأن أحداثها جرت في أدرنه بتنحية السلطان مصطفى الثاني عن العرش وتولية أخيه أحمد الثالث في أدرنه في سابقة لم تحدث من قبل في تاريخ الدولة العثمانية منذ فتح القسطنطينية، حيث تعاظم نفوذ شيخ الإسلام سيد فيض الله وسيطر على السلطان مصطفى الثاني، وسيطر أولاده وأقاربه على الوظائف العليا في الدولة، بعد هزيمة الجيش العثماني في فيينا، وانزوى السلطان مصطفى الثاني إلى أدرنه وانشغل بالقنص والصيد، وسادت حالة من السخط العام بين العلماء وقادة الجيش ورجالات الدولة، بسبب نفوذ شيخ الإسلام فيض الله أفندي، وقد انتهت الحركة بعزل السلطان مصطفى الثاني في أدرنه وقتل شيخ الإسلام فيض الله وعدد من أولاده.انظر: تاريخ نعيما، الجزء السادس، ملحق الكتاب.

١٨ عين في منصب الصدر الأعظم من ٢٤ يناير إلى ٢٢ أغسطس ١٧٠٣م.

Ahmet zaki pakalın.son sadrazamlar ve Başvekiller,II.cild,Istanbul 1944.s188.

١٩ عين في منصب الصدر الأعظم من ١٧ نوفمبر ١٧٠٣، حتى سبتمبر ١٧٠٤م.

وقد عُزل من وظيفته في القصر بسبب نقده اللاذع كبار رجالات الدولة، وتقرر نفيه إلى كريت عام ١٧٠٦م، ثم عُدّل القرار إلى بورصه بناء على التماس زوجته، ثم عفا عنه الصدر الأعظم جولولو عطا باشا[٢٠] بعد سنة، وأذن له بالعودة إلى اسطنبول، والتحق بإحدى الوظائف في القصر، حتى حظي برعاية داماد علي باشا، وكان يثق به ويأخذ برأيه، وكان يغشى بحرية كاملة ديوان الصدر الأعظم، وتعرف على كثير من أرباب العلم والأدب.[٢١] وتوفي في شعبان ١١٢٨ه أغسطس ١٧١٦م.[٢٢]

ج. عصر نعيما: عاش مصطفى نعيما في عصر اختل فيه التوازن بين الدولة العثمانية والغرب لصالح الغرب، وكانت الدولة العثمانية تعيش في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين في توازن مع الغرب، وكان هذا التوازن يميل لصالح الدولة العثمانية، بيد أن هذا التوازن في موازين القوى بين العالمين التركي والغربي قد اختل من جذوره حقيقة بعد هزيمة العثمانيين أمام النمسا عام ١٦٨٣م. ولا جرم أنه لم تكد تنقضي الحقبة الزمنية التي شهدت حروبًا داخلية في روسيا دامت أربعين سنة مقرونة باضطرابات وقلاقل كثيرة في القرن السابع عشر حتى أحرزت روسيا هي الأخرى طفرة عسكرية كبيرة في نهاية هذا القرن. وهكذا ولّى عهد تفوق المجتمع العثماني في تركيبته السكانية وبنيته التحتية ومؤسساته التي شكلت قوة الجيش الأصلية الذي كان مصدر قوة الدولة العثمانية.[٢٣]

ومن ثم تغيرت نظرة الترك لا سيما أصحاب الفكر الإصلاحي منهم للغرب، فقد اعترفوا أولا بتفوق الحضارة الغربية، وعبر عن ذلك أحمد حمدي طانبينار قائلًا: ولا جرم أن اعتراف يكرمي سكز محمد جلبي بتفوق الحضارة الغربية على حضارتنا يعد في ذاته أمرًا عظيمًا لم يكن أحد من الترك يعترف به قبل القرن السابع عشر حتى أجبر التفوق الأوروبي شعبنا على الإقرار بذلك، فلم يرَ يكرمي سكز محمد جلبي باريس التي ذهب إليها عام ١٧٢١م سفيرًا للدولة إبان عهد السلطان أحمد الثالث بعين كبرياء المحارب التركي الذي يتذكر مجد دولته وهيبتها إبان حكم السلطان سليمان القانوني، فقد نظر إلى باريس من بين ثنايا الأحزان التي أثارتها في الشعور القومي معاهدتا قارلوفيجه وبصاروفيجه؛ فقد مرَّت الإمبراطورية العثمانية في ذلك العصر بحادثتين دمويتين كبيرتين جرحتا كبرياءها وفخرها في الحرب، فقد فقدت كلًّا من بودين وبلجراد، وخلاصة القول، تغيرت الأوضاع الدولية لغير صالح الدولة العثمانية.

ويقرر المؤرخون أن القرن السابع عشر انتهى بهزيمة قاسية للدولة العثمانية أمام النمسا عام ١٦٩٩م، وتوقيع معاهدة قارلوفجه واعترفت فيها الدولة العثمانية بسيادة هابسبورج على المجر وخروجها من قبضة العثمانيين، وكانت الإنكشارية والجيش العثماني قبل هذا يذكران باسم الجنود المنصورة، فإذا بهما اعتبارًا من هذا التاريخ قلما يذكر اسمهما مقرونا بالنصر.[٢٤]

عاش مصطفى نعيما أبرز مؤرخي الترك المتأثرين بفكر ابن خلدون بداية هذا الوضع، فحذر من تردي أوضاع الدولة التي كادت تفقد هيبتها في مواجهة الدول الأوروبية، وقد عاصر نعيما من السلاطين العثمانيين كلا من السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) والسلطان سليمان الثاني(١٦٨٧ - ١٦٩١) والسلطان أحمد الثاني(١٦٩١ - ١٦٩٥) والسلطان مصطفى الثاني ١٦٩٥ - ١٧٠٣) والسلطان أحمد الثالث(١٧٠٣ - ١٧٣٠). ويتضح من هذا التسلسل، أنه عاش

Ahmet zaki pakalın.son sadrazamlar ve Başvekiller,II.cild, Istanbul 1944.s: 195.

[٢٠] عين في منصب الصدر الأعظم من ٣ مايو ١٧٠٦ حتى ١٥ يونيه ١٧١٠م.

Ahmet zaki pakalın.son sadrazamlar ve Başvekiller,II.cild,Istanbul 1944.s: 207.

[2] Ebüzziyâ Tevfik, Numûne-i Edebîyyât-ı Osmâniyye, İstanbul 1329, s. 44.

[2] Ahmed Refik ,Âlimler ve Sanatkârlar, İstanbul 1924, s. 256, 275 .

[٢٣] أحمد حمدي طانبينار، تاريخ الأدب التركي في القرن التاسع عشر، ترجمة د. مجدي حسانين إسماعيل، الكويت ٢٠٢١،ص:٥٩.

[٢٤] د. ماجدة مخلوف، الدولة العثمانية من الإصلاح إلى الحداثة، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢١، ص: ٥٣،٥٣.

أواخر عصر الركود حتى نهاية عصر السلطان مصطفى الثاني، وعاش سنوات من عمره في عصر السلطان أحمد الثالث.[٢٥]

د. مصادر تاريخ نعيما: تبوأ نعيما مكانًة هامة بين المؤرخين الترك بكتابه "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين"، وجاء كتاب نعيما فيما يقرب من ألف وأربعمائة عنوانًا، ويمكن ترتيب هذه العناوين حسب أهميتها، وكان نعيما يقوم تقويمات متعددة الآراء للمعلومات التي كان يوردها أسفل هذه العناوين، ولا ريب أن تاريخ نعيما يرتكز على الأثر الذي كتبه أحمد أفندي ابن قاضي بايرام أفندي شارح المنار، وقد أوضح مصطفى نعيما أنه استعمل المسودات التاريخية لكتاب أحمد أفندي ابن شارح المنار، وأنه كتب من بنات أفكاره على نحو واسع المدة من عصر السلطان أحمد الأول وحتى عصر كوبريلى أحمد باشا.[٢٦]أما المدة التي قبلها فقد اعتمد فيها على تاريخ حسن بيزاده. ووفقًا لهذه النسخة من تاريخ نعيما فإنه بدأ التأريخ للدولة العثمانية من سنة ألف من الهجرة، وكان أول عنوان بعد المقدمة قوله: **سنة ألف من هجرة من له العزة والشرف**، وقد فرغ مصطفى نعيما من كتابه عام ١١١٤ه- ١٧٠٢ م، بكتابته عن واقعة أدرنه أو ما يسمى واقعة فيض الله، رغم أن المدة التي تقرر الحديث عنها قد انتهت، بيد أنه أحب أن يكتب عن واقعة شيخ الإسلام سيد فيض الله. وقد أفاد أيضًا من كل من "كاتب جلبي" و"إبراهيم بجوي" و"قره جه لابي زاده عبد العزيز أفندي" ونشانجي عبدي باشا" و"عيسى زاده" و"محمد خليفه" و"حسين يويوغ"، و"جنابي مصطفى أفندي"، ومن المحتمل أنه أفاد من كتاب تواريخ الدولة العلية الذي لم تصلنا نسخة منه وصنفه قاضي العسكر "عصمتي أفندي"، كما نقل من كتاب كاتب جلبي "فذلكة التاريخ" عدة مباحث دون أن يغير منها شيئًا، واقتبس أيضًا من كتابيّه المشهورين "دستور العمل في إصلاح الخلل" و"ميزان الحق في اختيار الأحق". أما رؤيته في التاريخ فهي مقتبسة من رؤية ابن خلدون.[٢٧]

ويُفهم أن مصطفى نعيما قد حالفه التوفيق كثيرًا في تصنيفه المعلومات التي حواها كتابه التاريخ وفي مقابلة المصادر التي استعملها ورجع إليها موضعًا موضعًا، أما المصادر الشفهية التي استند عليها مصطفى نعيما في تاريخه فيأتي على رأسها معن أوغلى حسين بك، فقد أخذ عنه معلوماته الخاصة بعصري إبراهيم ومحمد الرابع.[٢٨]وكان ذا رؤية تاريخية اقتبسها من رؤية ابن خلدون وعالي مصطفى أفندي وكاتب جلبي.[٢٩]

هـ. أثر الثقافة الإسلامية في تاريخ مصطفى نعيما:لا ريب أن الثقافة الإسلامية وارفة الظلال بشقيها العربي والفارسي قد ألقت بظلالها على فكر المؤرخ التركي نعيما، وقد بان ذلك حتى في عنوان الكتاب، إذ آثر أن يسميه اسمًا عربيًا " روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين" وتتجلى معالم هذا التأثر بصورة أشد وضوحًا في معرفته بالأمثال العربية وتوظيفه لها وإيراده أبياتًا لأعلام شعراء العرب في الكتاب إضافة إلى تضمينه أبياتًا شعرية بالفارسية لشعراء الأدب الفارسي والأبيات التي قرضها بالتركية العثمانية التي تغلب عليها اللغة الفارسية، بل إن أسلوب نعيما في الكتاب تغلب عليه التركيبات والإضافات الفارسية. ولا يخفى أنه ذكر في مقدمته كتب التاريخ الفارسي التي رجع إليها.

---

[٢٥] Mehmet İPŞİRLİ, (2006), "Naîmâ", DİA, Cilt: XXXII, İstanbul, 316-318.

[٢٦] تولى أحمد باشا منصب الصدر الأعظم من عام ١٦٦١ حتى وفاته عام ١٦٧٦م.

Ahmet zaki pakalın.son sadrazamlar ve Başvekiller,Istanbul 1944.s: 2011.

[٢٧] Asaf Hâlet Çelebi, Naima: Hayatı, Sanatı, Eserleri, İstanbul 1953 .s. 200-207 ،

[٢٨] Erhan Afyoncu, "Osmanlı Müverrihlerine Dair Tevcihat Kayıtları I", TTK Belgeler, XX/24 (2000), s. 84-85.

[٢٩] Münir Aktepe, "Naîmâ Tarihi'nin Yazma Nüshaları Hakkında", TD, I/1 (1949), s. 35-52.

وقد بدت الثقافة العربية واضحة في تأثره بكتاب عبد الرحمن ابن خلدون، لا سيما مقدمته، وحاول نعيما أن يصوغ مقدمة لكتابه التاريخ تضاهي مقدمة ابن خلدون، بيد أنها جاءت مختصرة، تناولت فكر ورؤية ابن خلدون في التاريخ، وأنه لا يقتصر على سرد الوقائع والأحداث دون ذكر عللها وبواعثها. كما أجاد في توظيف الأمثال العربية في كتابه، وإن كان يلوي عنق بعضها أحيانًا حتى تتفق مع رأيه وفكره. ولم يذكر نعيما في كتابه أي مؤرخ غير مؤرخي العرب والفرس والترك.

و. مزايا تاريخ نعيما: اتسم كتاب نعيما بعدة سمات يمكن حصرها على النحو الآتي:

أولا: النظرة الواقعية في تشخيص الأزمات وتقديم الحلول لإصلاح مؤسسات الدولة، فقد توقف كبار المؤرخين العثمانيين عن سرد المدائح في أمجاد الدولة العثمانية واعتمدوا نظرية ابن خلدون في تشخيص واقع دولتهم التي ظهرت عليها علامات الضعف حتى صارت تعيش زمن الانحطاط وخشوا عليها أن تلج مرحلة الهرم المفضي إلى التردي والموت.[٣٠] وأكدوا على ضرورة العلاج وإصلاح مؤسسات الدولة قبل فوات الأوان،[٣١] كما تنبهوا إلى العواقب الوخيمة من امتداد تلك الأزمة إلى الولايات التابعة للدولة العثمانية التي بدأت تتجه أنظارها إلى الانفصال التدريجي عن الإدارة المركزية، فصارت موجودة الاسم معدومة الجسم.[٣٢] وأكدوا أن التاريخ رافد أساسي من روافد إصلاح الدولة، لأن دراسة التجارب التاريخية في الإصلاح سواء من التاريخ العثماني أو التاريخ العالمي كفيلة باستنتاج الحلول لمعالجة الخلل الذي أصاب مؤسساتها، وعبر عن هذا التصور كاتب جلبي في كتابيه تقويم التاريخ وفذلكة التاريخ.[٣٣]

ثانيًا: ذكره الأسباب الخفية للأحداث المعلنة، مثل سبب القتل وسبب النفي وسبب العزل. والنتائج الخفية للأحداث والوقائع، إضافة إلى إبداعه في تدوين الأحداث التاريخية التي عايشها.[٣٤]

ثالثًا: استعانته بالكتب التاريخية في العربية والفارسية والتركية وذكره أسماءها، فأضحى كتابه وكأنه كتاب تاريخي متصل الأسانيد؛ إذ يفهم من سيرة مصطفى نعيما أنه كان شغوفًا منذ شرخ صباه بالتعمق في أحداث الأزمنة الغابرة، وأنه اتخذ من كتاب أحمد أفندي ابن شارح المنار أساسًا في معرفة التاريخ ونقل العديد من أجزاء هذا الكتاب إلى كتابه تاريخ نعيما، وأضاف إليه إضافاته واقتباساته من المصادر الأخرى.[٣٥]

رابعًا: تلخيصه النظريات السياسية الخاصة بالتاريخ والمجتمع التي أفادها من ابن خلدون، الذي كان في نظره أعظم مؤرخ، وكذلك مصطفى عالي وكاتب جلبي وقينالي زاده،[٣٦] أضف إلى ذلك أن الكتاب حمل بين ثناياه أهمية كبيرة في سرد الوجه الداخلي للأحداث ممزوجًا بتعبيراته الإيمائية وسخرياته وسرده المتسم بالروائية وتصويراته متعددة الشيات في معية نصوص مرتبة متسلسلة.[٣٧]

خامسًا: ارتباط تاريخ نعيما برباط وثيق العرى بالأعراف التي نقلت الأحداث باعتبار محتواها في إطار ترتيب تسلسلي، وشدة اهتمامه بالأحداث التي كانت تقع خارج العاصمة إسطنبول والقصر، وإذا كان نمط تناوله الأحداث والسخريات التي صاغها في كتابه مأخوذًا من كتاب شارح المنار

---

[٣٠] كاتب جلبي، دستور العمل لإصلاح الخلل، اسطنبول، تصوير الوقائع، ١٢٨٠هـ ص: ١٢٠ ـ ١٢٣.

[٣١] مصطفى نعيما، ج١، ص: ٣٩.

[٣٢] قوجي بك، قوجي بك رساله سي، اسطنبول، أبو الضيا مطبعه سي، ١٣٠٣هـ، ص: ٥١.

[٣٣] كاتب جلبي، تقويم التواريخ، اسطنبول، مخطوطة الخزانة السليمانية، (د ت) رقم ٢٣٩٩.

[3] Asaf Hâlet Çelebi, Naima: Hayatı, Sanatı, Eserleri s:201.

[3] İsmail Hakkı UZUNÇARŞILI, (2011), Osmanlı Tarihi,s:211.

[٣٦] علي جانب، نعيما تاريخي، ترك أدبياتندن نمونه لري، اسطنبول، ١٩٢٧م، ص: ٥٨.

[3] Asaf Hâlet Çelebi, Naima: Hayatı, Sanatı, Eserleri ,s:198.

زاده فإليه يرجع الفضل في مقارنته الأحداث ببعضها بعضًا مقارنة دقيقة واعتماده فوق ذلك أيضًا على المصادر الشفهية.[٣٨]

ز. مكانة كتاب نعيما بين كتب التاريخ: حظي كتاب نعيما بأهمية كبيرة في العصر العثماني والعصر الجمهوري على حد سواء، وكان كتاب تاريخ نعيما من أوائل الكتب التي طبعها إبراهيم متفرقة في مطبعته، فطبعه عام ١٧٣٤م، في مجلدين كبيرين، وقد صدرت هذه الطبعة بمقدمة صاغها إبراهيم متفرقة في صدر الكتاب الأول، ثم توالت نسخه وطبعاته، وظهرت في بعض المكتبات ملخصات تاريخ نعيما، وكانت الطبعة الثانية عام ١٨٤٣م وقد شابتها علل كثيرة، أما الطبعة الثالثة فكانت عام ١٢٨١ه وجاءت في ستة مجلدات.[٣٩] ونظرًا للأهمية القصوى التي يحملها كتاب مصطفى نعيما، فقد بذل مصطفى فاضل باشا[٤٠] جهدًا حثيثًا لطباعة هذا الكتاب، ويدل على ذلك ماورد في آخر المجلد السادس من هذه النسخة من ثناء دار الطباعة على مصطفى فاضل باشا.

ويأتي الكاتب التركي أحمد رفيق على رأس من أفادوا كثيرًا من كتاب نعيما، فقد أفاد منه ولا سيما في كتابة كتب "سلطنة النساء

و"عصر السمور"، و"آل كوبريلى".[٤١] وأجريت دراسات عديدة حول تاريخ نعيما، وكان أولها رسالة دكتوراة أعدّها لويس طوماس، جاءت في ثلاثة فصول عن حياة نعيما وأفكاره وكتابه التاريخ، وأنارت السبيل في عدة نقاط خاصة بحياة المؤلف وكتابه. وكانت الدراسة الاجتماعية على يد زكي أرسلان هي الدراسة الثانية، كما ترجمت أجزاء من تاريخ نعيما إلى اللغة الانجليزية صدرت في لندن عام ١٨٣٢م.[٤٢]

الفصل الثاني: توظيف الأمثال في مقدمة كتاب نعيما

صدرت النسخة الثالثة من كتاب نعيما بمقدمتين، مقدمة دار الطباعة، ومقدمة مصطفى نعيما. **وجاءت المقدمتان على النحو الآتي:**

مقدمة دار الطباعة: جاءت مقدمة دار الطباعة لكتاب مصطفى نعيما "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين" عام ١٨٨١ هـ في اثنتين وعشرين صحيفة، والتزمت نهج مصطفى نعيما في توظيف الأمثال العربية، فبدأت بحمد الله والثناء عليه، ثم قال: كما أن الله قدر حفظ حياة الإنسان وعافيته بحفظ صحته واعتدال مزاجه فإنه قدر كذلك بقاء الأمم بتطبيق العدل على الرعية، واتفق على ذلك الرجال في كل عصر ومصر، ثم ذكر التّحيات الزّاكيات والسّلامات المباركات على النبي محمد وصحبه الكرام والتابعين لهم.[٤٣] ثم وضع عنوانًا باللغة العربية: **التمهيد على بعض ما حُرِّر في كتب الأخلاق،** ذكر تحته حكمة الله تعالى في خلق الإنسان واستخلافه الأرض، وأورد قول الله تعالى: **"لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"**[٤٤] وقوله: **"وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا**

---

[3] Asaf Hâlet Çelebi, Aynı geçen eser,s:204.

[3] İNALCIK, Halil (2006), ''Osmanlı Tarihinde Dönemler,s:214.

[٤٠] مصطفى فاضل باشا ابن إبراهيم باشا وشقيق إسماعيل باشا، ولد في القاهرة عام ١٨٣٠م، وتوفي في اسطنبول عام ١٨٧٥م، عين وزيرا للمعارف في الدولة العثمانية عام ١٨٦٢م، ثم وزيرًا للمالية عام ١٨٦٣م. انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م، ص١٥٤.

Mehmet Zeki Pakalın, Tanzimat Maliye Nazırları, İstanbul, ts. (Kanaat Kitabevi), II, 3-65

[4] İsmail Hakkı UZUNÇARŞILI, (2011), Osmanlı Tarihi, s:214.

[4] Halil İNALCIK (2006), Aynı geçen eser’s:215.

[٤٣] حمد بى غايه وشكر لا نهايه عوالم ملك وملكوته مفيض نظام اولان خداوند ذوالجلال والاكرامه اولسونكه نوع بنى آدمك حيات وعاميتن اعتدال مزاج وحفظ صحت اسبابيله مقدر ايلديكي كبي دولت وسلطنتك دوام وبقاسني دخى قانون عدلى اعمال واتفاق كلمۀ رجال ايله ميسر ايده كلمسدر . وارادت عليه ومسيت لم يزليه سى دين ودولت اسلاميه نك دوام ونقاسي جانبنه. تاريخ نعيما، ج١، ص:٢

[٤٤] سورة التين، آية: ٤.

تفضيلا"[٤٥] وقوله: **"وهو الذي جعلكم خلائف الأرض"**[٤٦] وقوله صلى الله عليه وسلم: **"تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة"**[٤٧] ثم قال: لا يخفى على أحد أن المرحوم نعيما صدَّر كتابه المستطاب بمقدمة بليغة ذكر فيها تعريف الدولة، وأن وجود حاكم ينظم أمر الجماعة والدولة أمر حتمي واجب، وأن عليه المحافظة على القوانين كما ينبغي،[٤٨] أن سياسة الناس شرط قيام الدول وبقائها، [٤٩] ثم عنون باللغة العربية: **الكلام في أحوال الدول الإسلامية وأحوال الملوك والسلاطين العثمانيين**، فذكر أن وظيفة الدول الإسلامية منذ أن قامت هي -ولا ريب- تطبيق شرع محمد صلى الله عليه وسلم وسياسة الناس بالعدل،[٥٠] ثم ذكر عنوانًا بالعربية: **الكلام في ظهور الدولة العثمانية**، فذكر أنها أُسست على يد أبي المغازي السلطان عثمان الغازي بهدف إعلاء كلمة الله وتحصيل رضا رسول الله، وأورد الآية الكريمة: **"ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون"**[٥١] وتحدث عن جهاد العثمانيين، فذكر قول الله تعالى: **"وقاتلوا المشركين كافة"**،[٥٢] ثم عنون بالفارسية ماترجمته: **في مدح السلطان الأعظم حاكم العالم**، فأطلق المدائح في السلطان سيد البحرين وخادم الحرمين الشريفين، العظيم، المهاب، المبارك، ناشر العلوم، راعي الفضيلة، ثم أورد عنوان: **في الثناء على مفتي الأنام وشيخ الإسلام** الذي وافق على إعادة نشر كتب التاريخ وطباعتها، لا سيما كتاب نعيما،[٥٣] إلى أن بين الهدف من طباعة كتاب تاريخ نعيما، فقال: مستعينًا بالله العظيم متوكلًا على كرمه العميم، شرعنا في إحياء كتب تواريخ العالم نظرًا للفائدة الجمة التي تعود على القراء، ولمّا كان كتاب تاريخ نعيما يتناول أخبار الدولة العلية وآثارها، فقد شرعنا في إحيائه وتجديده، وقد بدأ الكتاب في التأريخ للدولة العثمانية من عام ألف من الهجرة حتى عام ألف وإحدى وسبعين من الهجرة النبوية، وسوف ينشر في عقبه تاريخ راشد أفندي وتواريخ جلبي زاده وسامي وشاكر أفندي.[٥٤] ختمت مقدمة دار الطباعة بقوله: وإني لأرجو الصفح عن الزلات والعفو عن العثرات التي اعترت هذا الكتاب طباعة وإملاء.[٥٥]

مقدمة مصطفى نعيما وتوظيف الأمثال: جاءت مقدمة مصطفى نعيما لكتابه "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين" في خمس وستين صحيفة، ويبدو من المقدمة أنه كتبها بعد الفراغ من كتابة كتابه التاريخ، وصدّر بها الكتاب، وكانت الأمثال التي ساقها نعيما في مقدمته كتابه تهدف إلى توضيح الفكرة وتعضيدها بالمثال بغية إيصال فكرته إلى القاريء وكان هذا الأعم الأغلب في الأمثال التي وظفها في المقدمة عدا الأمثال التي كان يلجأ إلى ليّ عنقها حتى تتوافق مع ما يذهب إليه، وقد بدا ذلك واضحًا في الاستشهادات التي ساقها من صلح الحديبية الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش في السنة السادسة من الهجرة، ومحاولته توظيفها مع سياق حديثه عن مصالحة الدولة العثمانية مع فيينا بعد هزيمة العثمانيين في معركتي قارلوفيجه وبصاروفيجه، وإن كان ليس ثمة تطابق أو حتى تشابه بين الأمثال التي ذكرها في هذا السبيل وبين السياق.

جاءت المقدمة على النحو الآتي: بدأ أولًا بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله، يقول نعيما: الحمد لله حمدًا بلا حدّ، والشكر له بلا عدّ، مالك الملك والملكوت، ذي العزة والجبروت، تعالى شأنه وعز سلطانه، سطر كل شيء وأدمجه في علمه وتقديره، وأبدع كل شيء

---

[٤٥] سورة الإسراء،آية:٧٠.

[٤٦] سورة الأنعام، آية:١٦٥.

[٤٧] محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، باب النكاح، حديث رقم ٤٠٢٨.

[٤٨] تاريخ نعيما، ج٢، ص: ٣.

[٤٩] تاريخ نعيما، ج٢، ص:٤

[٥٠] تاريخ نعيما، ج٢ ص: ٥.

[٥١] سورة الأنبياء،آية: ١٠٥.

[٥٢] تاريخ نعيما، ج٢،ص:٧,٨،٩.

[٥٣] تاريخ نعيما، ج٢، ص: ١٤،١٥،١٦.

[٥٤] تاريخ نعيما، ج:١، ص:١٦،١٧.

[٥٥] تاريخ نعيما،ج:١،ص:٢٢.

وأدرجه في فيض تدبيره، وفصل أزلًا كل شيء وصوره وأحسن تصويره، هو الملك المبدع على غير نظام سبق، دلل على أسمائه وصفاته بتنوع أصناف مخلوقاته، فمنهم الغني والفقير والعاقل والحكيم والصحيح والسقيم، وصدق الله تعالى: **"ورفع بعضكم فوق بعض درجات"**[٥٦]فالمخلوقات على تباين أحوالها وتغاير أوصافها وتعدد أطوارها منتظمة الحركات للخالق مذعنات، سبحانه جل شانه، وصلاة وسلامًا زاكيات على روح وذات إمام الأنبياء والمرسلين ورحمة الله للعالمين، جامع حكمة العلم والعمل، المبعوث بالدين المبين والشرع الرصين المؤيد بأعظم المعجزات وأوضح الدلالات أعني الذكر الحكيم والقرآن العظيم، الهادي إلى سواء السبيل، بُعث في العرب وكانوا جنسًا صعب الانقياد عسير الاتحاد غلاظ الأكباد، طبائعهم معوجة، وفطرتهم قبيحة، أمر النبي بدعوتهم وتهذيب فطرتهم وتزيين عقولهم وتزكية نفوسهم، وأيده الله بالصحابة الكرام وألف بين قلوبهم، وكانوا أعوانًا وأنصارًا، ثم دان الناس للدين، فمنهم من أذعن للحكمة، ومنهم من رفض إلا السيف، وكان آل البيت والصحابة والتابعين أساس بنيان الدين، وركن الشرع المتين، كانوا على الحق أعوانًا ولأحكام الدين مثالًا، فدخل الناس في ظل حي على الفلاح أفواجًا، وتبدلت أحوال العرب من خشونة الحياة ومرارتها إلى طيب الحياة ولذتها.[٥٧]**فُقدت ورقة من المقدمة،** وهي الصحيفة رقم ٤، والصحيفة رقم ٥، ولم يتسن لي العثور عليها في أي طبعة قديمة من طبعات كتاب تاريخ نعيما.

ثم أماط اللثام عن أسماء الكتب التي رجع إليها في العربية والفارسية والتركية، ويبدو أنه تحدث في الصحيفتين المفقودتين عن المصادر العربية التي رجع إليها، ويدل على ذلك بدء الصحيفة السادسة بجملة: وفي الفارسية كتاب غياث الدين خواند مير حبيب السير[٥٨]وكتاب نكارستان

---

[٥٦] سورة الأنعام، آية:١٦٥.

[٥٧] لطايف حمد و سپاس * وشرايف شكر بى قياس * مالك الملك والملكوت * صاحب العز والجبروت * تعالى شانه وعز سلطانه حضرتلرينه اولسونكه حضرت علم و تقديرنده مندمج اولان عالم تدوين و تسطيرى اقتضاى مشيت ذاتيه ايله ابداع وانشا ونهانخانهٔ فيض تدبيرنده مندرج اولان صورت تفصيل وتصويرى ارادت عنايت ازليه سيله اظهار وهويدا ايلدى وتقابل أسما وصفاته مظهر اولان اصناف مخلوقاتى ماهيات مختلفه واستعدادات متنوعه يه مظهر ايتمكله كميى پادشاه جهان كميسى فقير وناتوان كميى عاقل وحكيم كميسى نادان وسقيم اولوب **(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)** فحواسنجه احوال كائناته مغايرت ايله ثبات ويروب دائرهٔ جمعيت مخلوقاتى بومباينت ايله منتظمة الحركات ايلدى وجواهر تحيات بيحد وزواهر تسليمات لا يعد سلطان سرير عليين ، قايد ركب الانبياء والمرسلين محمد المصطفى عليه من الصلوات ازكاها حضرتلرينك ذات اقدس وروح مقدسلرنيه اولسونكه حكمت علميه وعمليه يى جامع اولان دين مبين وشرع رصين ايله عامهٔ عالمه مبعوث اولوب رسالتنه اوضح دلالات واعظم معجزات اولان نظم كريم أعنى قرأن عظيم ايله جملهٔ عادى طريق نجاته ارشاد ايلدى قبائل عرب صعب الانقياد وتنافس رياستله متعسر الاتحاد برقوم اولوب لكن طبيعتلرى ملكات متعوجه دن سليم وجبلتلرى عوايد قبيحهٔ منرفه دن عارى وغير سقيم اولمغله اول حامل اسرار نبوت امر دعوته مدارك اسباب ممكنه دن سالك اولوب ابتداء فطرت اولى اوزره باقى قبول خيره متهئ عقلاى جيل واصفياى كبار قبيلك ارشاد وهدايتنه مبادرت ايتديلر خلع شرايف اسلام ايله تشريف مراتب عظام ايدن اصحاب كرام امرينه رام اولوب فرمان رحمانله مبشر بالجنه اولان عظماى بنام وقايه وجند مقامنده استخدام بيورلمغله تأييد حق تأليف قلوب رجال نجدت ايله مزاج جميعت اعوان وانصاره قوت ويرد كدنصكره كمينى قول مقبول ايله تسخير وكمينى سيف مسلول ايله تدمير ايده رك رجا اول مظهر تام جلال و جمال اولان سيد صاحب كمال لطف وقهر ايله اعناق مخالفينى قلادهٔ اطاعته ادخال ايلدى دخى حمد وثنا ودر ود و دعا دعايم بنيان دين وقوايم اركان شرع مبين اولان آل واصحاب و عترت و احبابلرينه اولسونكه تقويت امر دين وتمشيت احكام سيد المرسلينده بذل جان ايله دامن درميان اولديلر ومزيد سماحتلرندن عامهٔ امتى ندای حى على الفلاح ايله سماط فوز ونجاحه دعوت ايلديلر صنيع مسكورلرى بركاتيله باديهٔ محنتده رعى ناقه ايدن عشاير ذوفاقه مستريح ظل خضارت وصحارئ وحشتده نكد خشونت ايله مر العيش اولان اقوپاى قبايل حلو المذاق نعم ثروت.

تاريخ نعيما، ج١،ص:٢،٣.

[٥٨] حبيب السير في أخبار افراد البشر، يعرف باسم "حبيب السير، كتاب تاريخ فارسي، صنفه غياث الدين خواند مير المتوفى عام ٩٤٢ هـ، اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ج٢،ص:٢٣٥.

غفاري[٥٩] أما في التركية فقد رجعت إلى كتاب عالي "كنه الأخبار"[٦٠] وكتاب كاتب جلبي الذي كتب تاريخ الدولة العثمانية من ألف وحتى ألف وخمسة وستين وسماه "فذلكه"[٦١] وكتاب قره جلبي زاده عبد العزيز أفندي الذي يخلو من التكلف ويتسم بالتعبير اللطيف والتقرير الوجيز.[٦٢]

وأفصح نعيما في مقدمته عن أسس التأريخ التي ينبغي للمؤرخ أن يتبع سبيلها، فقال: لا بد لمن يتصدى من أهل المعرفة لكتابة الحوادث وضبط الوقائع من عدة أمور:

١. أن يدون الصادق من القول ولا يخط بقلمه الأقاويل الباطلة والحكايات الزائفة، وإن لم يتسنَّ له التثبت من حقيقة كل قول خاصة فعليه الرجوع إلى الذين عاصروا الأحداث ويمحص أقوالهم.

٢. أن لا يلقي بالًا للأراجيف الشائعة على ألسنة الناس، وأن لاينقل عن ذوي العقول السخيفة وأصحاب الآراء الضعيفة في كل عصر ومصر، وأن لا يمزج الترّهات بالحقائق الساطعة.

٣. أن لايكتفي بالحكايات المنقولة فحسب، بل يدرج في تاريخه الدقائق النافعة والفوائد المعتبرة من القصص، فما الفائدة المرجوة من التأريخ للسفر والحضر والذهاب والإياب والعزل والمنح والسلم والحرب وسائر الأمور دون كتابة العبرة منها، فينبغي عند الكتابة عن أحوال العصر ورجالاته وأعماله وأفكاره والحرب والسلم كتابة علل هذه الأشياء ومكامنها.

٤. أن يكون منصفًا عند الحديث عن مقادير الناس ولا يتعصب لأحد أو يتعالى على أحد، وأن ينأى بنفسه عن النزعات الشخصية والميول النفسية عند التأريخ لشخصية ما. وأن يكون منصفًا في مدحه وذمه.

٥. اختيار اللغة السهلة والعبارات اللطيفة والبعد عن المستغلقات على الفهم، وأن لا ينظر إلى تصنيف التاريخ على أنه تتابع للإضافات والإصطلاحات وغريب الكلمات مثل تاريخ وصاف وتاريخ عتبى.

٦. أن يضمن كتابته التاريخ عبارات نثرية وأبياتًا منظومة تضفي عليه رونقًا وجمالًا.

٧. أن يكون على علم بالسنن الكونية في تعاقب الممالك والدول، عليمًا بحركة الأجرام السماوية والأحوال الاجتماعية في الدولة. وأن يدرج هذا ضمن الوقائع والأحداث، فينبغي لمن يتصدى للتأريخ أن يراعي هذه الشروط.[٦٣]

---

[٥٩] تأريخ نگارستان أو تاريخ غفاري، كتاب تاريخ باللغة الفارسية، ومؤلفه أحمد بن محمد بن عبد الغفار القزويني المتوفى عام ٩٧٥ هـ، انظر هدية العارفين - إسماعيل باشا البغدادي ، ج ١ ،ص: ١٤٥.

[٦٠] كتاب تاريخ تركي، في أربعة أجزاء، مؤلفه عالي مصطفى أفندي، شرع في تأليفه عام ١٥٩٢من ويحتمل أنه أتمه عام ١٦٠٠م، وجاء الكتاب في أربعة أجزاء، الجزء الأول: من بداية الخلق وحتى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والجزء الثاني العصرين الأموي والعباسي، والجزء الثالث تاريخ الأسر الحاكمة المغولية والتركية، أما الكتاب الرابع فأفرده لتاريخ العثمانيين. أنظر: Hüseyin Nihal Atsız, *Âlî Bibliyografyası*, İstanbul 1968.

[٦١] مصطفى بن عبد الله، المعروف باسم حاجي خليفة، او كاتب جلبي، مؤرخ وجغرافي تركي، من أبرز علماء المسلمين في القرن السابع عشر الميلادي، وأشهر كتبه بالعربية، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وبالتركية العثمانية ،فذلكة جلبي، ولد عام ١٦٠٩ وتوفي عام ١٦٥٧م،.عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق ١٩٦١م، دار إحياء التراث العربي،ج١٢،ص:٢٦٣،٢٦٢.

[٦٢] معلوماتنى مقدمه ده درج ايتمشدر ولسان فارسيده غياث الدين خواند ميرك (حبيب السير) و (نكارستان غفارى) ولسان تركيده عالينك (كنه الاخبار) ى كذلك مقبول و معتبر تاريخلردندر حاجى خليفه ديمكله مشهور كاتب چلبى بيك تاريخندن بيك التمش بشه كلنجه دولت عثمانيه تاريخنى يازوب (فذلكه) تسميه ايتمشدر حق بودر كه سلاست تعبير وحلاوت تقرير ايله تكلفدن معرا بر مفصل تاريخ عنادر كذلك لطافت تعبير ووجازت تقرير ايله قره چلبى زاده عبد العزيز افندى مبدأدن على وجه الاختصار تحرير ايدوب .

تاريخ نعيما،ج١،ص: ٦.

[٦٣] (فائده) وقايع يازان وحوادث ضبط ايدن اهل عرفانه برقاچ شرائط لازمه وقواعد مهمه واردر (اولا) صادق القول اولوب اقاويل باطله وحكايات زايفه يازميه برخصوصك حقيقتنه واقف دكل ايسه مطلع اولنلردن تفحص ايدوب تيقن حاصل

ثم نظم أبياتًا شعرية بالتركية العثمانية يثني فيها على علم التاريخ والمكانة العظيمة التي يحظى بها المؤرخ، فقال ما ترجمته:

در منقــولٌ عن أربابِ الحِكَمِ
ككنوزِ العسجدِ تلمعُ في الظُّلَمِ
إنَّ الجوهرَ والذهبَ هما نورُ البصرِ
وضياءُ بصائِرنا في العلمِ وفي الخَبَرِ
أنعم بكـتاب! فهْوَ نديمٌ ووفيٌّ
يطوي أعمارًا لكَ وهْوَ سخيٌّ
أنعِمْ بخبيرٍ لغاتٍ، عالـمِها
يفشينَ له أسرارَ محارِمِها
ترجمَ تاريخَ الــــدهرِ لشتَّى الأزمنةِ
وعن الأحداثِ حكَى في شتَّى الأونةِ
كم بسطَ بساطَ القولِ عن السِّيَرِ
وتَحَدَّثَ عن ســيرةِ خيرِ البَشَرِ
كم أَخبَرَ عن أســماءِ كثيرينْ
بعدَ ملوكٍ- غبروا- وسَلاطِينْ
هذا رجلٌ يعرفُ أسرارَ الدولِ
من حالِ المَلِكِ إلى حالِ السَّفَلِ
أولُ أحداثٍ هو يعلمُها، والآخِرْ
معلومٌ ذاكَ من الـتاريخِ وظاهِرْ
ولأنَّ التاريخَ- بلا ريب- فنُّ العظماءْ
طمحَـت نفسي- بالتاريخ- إلى العلياءْ
إنَّ لصاحـبِ هذا الفنِّ نظَرْ
والغافلُ عنهُ ليسَ لديهِ خبَرْ
أهلُ المعرفةِ بهِ كتبوا ما عَرَفوا
وعلى أحوالِ السَّـلفِ لقد وَقَفوا

ايتديكى موادى يازه (ثانيا) السنهٔ ناسده شيوع بولان اراجيفه التفات ايتميوب وقايعك ما هو الواقعنى بيلن رجالك معتمد وموثوق اقوالنه رغبت ايليه زيرانيجه امورك كيفيت وقوعى وسبب صدورى اربابنه معلوم ايكن عقول سخيفه اصحابى تصورات ضعيفه لرينه منى معنالر ويروب غلط و ياخود هيچ اصلى يوق سوزلر اشاعه ايدرلر بين العوام شيوع بولمش بومقوله ترها تى كرچك ظن ايدوب تفقد ايلمدن نقل ايدوب يازنلر هر عصرده قتى چوق بولنور (ثالثا) ضبط اولنه جق امور حوادث كونيه نك نه قسمندن ايسه يالكز نقل وحكايتي ايله اكتفا ايتميوب قصه دن حصه النه جق كوشه لرده دقايق نافعه درج ايليه زيرا، سفر وحضر وذهاب واياب وعزل و نصب وسبا وحرب ودخى سائر بومقوله حوادثى ساده يازمقده حندان فائده يوقدر بلكه هر زمانك مقتضاى حالى ورجال عصرك مسلك ومأل احوالى ونظام ملك ومالده اعمال فكر و مشورنلرى وما حصل نتايج ملحوظات ورويتلرى واعدا طرفيله مقاتله ومنار كه ده مختار وقت اولان مصلحتلرى وحصول ظفر ويالحوق ضرره مؤدى اولان اسباب وعلتلرى كركى كبى دانای كار اولنلردن استخبار ايتد كدنصكره اطلاعى مرتبه محلنه كوره ايراد ايلمك لازمدر كه بعد زمان قراءت ايدنلر نيچه فوائد مجربه يه مطلع اوله لر بو فوائد دن خالى و ساده تاريخلرك حمزه نامه دن فرقى يوقدر (رابعا) مقادير ناسه عارف حق كوى ومنصف اولوب متعصب ومكابر ومتقشف ومتهاتر اولميه ممدوحيته لياقتى اولميان آشنالرينى حمايه ويائنا ايدر سه تكذيب اوله جق مرتبه افراط ايله اطرا ايتميه وممدوح الماثر اولان رجال اكابرى تعلق اغراضه بناء ذم وقدح ايدوب غدارلق ايتميه هر حالده نفس الامر نه ايسه انى بيان قيدنده اوله (خامسا) مشكل عبارات و مغلق اصطلاحاتى ترك ايدوب سهولت ايله قرائتى ممكن تعبيرات اختيار ايليه قاموسه محتاج لغات و منشيانه تتابع اضافات واصطلاحات تاريخه باقنمز مكر مراد اظهار اهليت و عرض بلاغت وفصاحت اوله خواص ايجون تأليف اولنان (عتبى) و (وصاف) تاريخلرى كبى (سادسا) مطلع اولديغى لطيف نامه لر وفائده مند اوله جق حكايه لر وصدده مناسب نظم ونثر ايله نادره مضمونلر ولطيفه لر تحرير ابليه (سابعا) على احكامه واقف ايسه قرانات وتحويل سنين وكسوفات وسائر طوالعك اصول فن اوزره احكامنى ضبط ايدوب فواعل اجرام علويه نك كه على زعمهم مدبرات امر اطلاق ايدرلر قوابل اجسام سفليه ده ظهور. تاريخ نعيما، ج١، ص: ٧،٨.مقدمة المؤلف

معرفةُ التاريخِ صغارًا وأكابرْ
مشكــاةُ ضياءٍ وهدىً للحاضرْ
كم أشفقَ حكماءُ السلفِ على الخَلَفِ
ولأجلِ هدايتِهم ســـاروا نحوَ الهَدَفِ
وهمُ فصـــحاءٌ بلغـــاءٌ وجميلُو التعبيرْ
كتبوا الواقعَ والماضي بحروفٍ من نورْ
تلكَ وسيلتُنا لاستـــجلابِ الحَمدْ
وحكيمُ الذكرِ هوَ المغنمُ والمَجدْ[٦٤]

وبين بعد تلك الأبيات المنظومة أنه شرع في كتابة التاريخ في عصر السلطان مصطفى خان ابن السلطان محمد خان عزّ نصره وأيد الله عزّه، وذكر أول عمله بالتأريخ في نسخ مسودات تاريخية، فأورد بيتًا شعريًّا عربيًا، نسبه إلى ابن المعتز[٦٥]وقد راجعت ديوان ابن المعتز، فلم أعثر على هذا البيت الشعري في شعره.

من عزّ من دون الأنام مقامه...فأحسن ما يُهدى إليه كتابُ

يقول نعيما عقب هذا البيت الشعري: وفي إطار المفهوم الذي حمله البيت السابق أُهدي إلي مجموعة عجيبة تضم مسودات فريدة بخط مؤلف، وهو خادم العلم أحمد أفندي شارح المنار زاده الذي أرخ بأسلوب فريد من عصر المرحوم السلطان أحمد حتى عصر محمد كوبريلى باشا تفصيلًا لأحداث الدولة العلية، وقد حوت هذه المسودات أحداثًا لم يتناولها أحد من قبل، وقد أُمرت بتحريرها وتسويدها، وقد اتسم المؤرخ باليقظة والانتباه في سرده الوقائع والأحداث، والكتاب مفعم بالعبر من بدايته إلى نهايته، وقد بذلت جهدًا حثيثًا لإحيائه وبعثه.[٦٦]

ثم تحدث عن تعيينه مؤرخًا رسميًّا للدولة العثمانية، فقال: شرعت في التأريخ بفرمان شريف مشمرًا عن ساعد الجد مكملًا تدوين تاريخ ما مضى من عصور ملتزمًا الدقة كما ينبغي أن يكون، وسميته "روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين"، وكم أتمنى أن يكون جميل الاسم والمسمى،

بو در منقول ارباب هنردن ... خبر علميله يكدر كنج زردن
زر و كوهر دن الورديده لذت ** اولورعا وخبر نور بصيرت
كتب كو يا نديم بي سخندر ** خير حال كردون كهندر
زبان حالله اولد قجه كويا ** ايدر محر ملره اسرارى افشا
تواريخ اولدى دهرك ترجمانى ** وقايع بيلدرر او قدر زبانى
كهى بسط مقال ايلر سيردن ** سوز آچر غزوه خير البشردن
خبر ويررركهى نام آوراندن ** حكايات سلاطين جهاندن
كهى ايضاح سر دولت ايلر ** بيان حال ملك و ملت ايلر
نو و كهنه حوادث اول آخر ** اولور تاريخدن معلوم و ظاهر
تواريخ اولد يقيجون فن عالى ** اكا رغبت ايدر طبع اعالى
بوفتك صاحبي كامل نظردر ** بوفندن غافل اولان بى خبردر
وقا بع ياز مسه اهل معارف ** كيم اولوردى سلف حالينه واقف
كلن اخوان ايجون سابق اكابر ** مهيا ايتديار حلواى حاضر
ايدوب اخلافه شفقت اهل حكمت ** ابر وضعنده چكد يلر منسقت
بودر لا يق كه از باب مكارم ** اوله وضح اثر سمته عازم
بولوب بر منسى عذب البياتي ** نگاه لطفه مظهر ايده انى
عبارات بليغه اوله قادر ** وقابع ضبط ايده يازه ماتر
اولور جلب دعايه بروسيله ** اثر باعث اولور ذكر جميله

[٦٤] تاريخ نعيما، المقدمة،ص: ٨.
[٦٥] أحد خلفاء الدولة العباسية، ولد ٦٦١ م وقتل عام ٩٠٩م كان أديبًا وشاعرًا، ويسمى خليفة يوم وليلة، لأنه لم يلبث في الخلافة سوى يوم وليلة.انظر، ديوان ابن المعتز، دار صادر ، بيروت،١٩٨٣.
[٦٦] تاريخ نعيما، ج١، ص:٩. مقدمة المؤلف.

وإن شابه شيء من القصور فأرجو أن يغفر لي عدم الاستطاعة وقلة البضاعة، وهو لآلي أبدار ومحل اشتهار ومنظومة تذكار.[٦٧]

ثم شرع مصطفى نعيما في الحديث عن معاهدتي قارلوفجه وبصاروفجه: أردت أن أوضح في هذه المقدمة وما حوته من فصلين أن تنظيم أمور البلاد وترفيه العباد يتحقق بالمصالحة مع الملوك الكفار والمهادنة مع الملوك النصارى في الجهات الأربع. وتحدث تحت هذا العنوان عن صلح الحديبية الذي عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قريش، فأورد قول الله تعالى: **"لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة"**[٦٨] وذكر المفاوضات التي جرت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش في أثناء كتابة بنود صلح الحديبية، وقول عمر مخاطبًا النبي صلى الله عليه وسلم: **ألست رسول الله حقًا، ألسنا على الحق، أليس عدونا على الباطل؟**، وذكر إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: **بلى يا عمر**. كما ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي لما رفضت قريش كتابة بسم الله الرحمن الرحيم، قائلين: لا نعرف سوى باسمك اللهم، فقال صلى الله عليه وسلم: **امحها ياعلي**.[٦٩] ويؤكد نعيما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل على رأي قريش في مفاوضاتها معه، وحرم من دخول مكة وأداء الحج والعمرة، لأنه كان موقنًا بنصر الله تعالى له بما أراه الله من الأنوار الربانية ونسائم الأرواح القدسية، وقد كان. ويريد أن يؤكد نعيما على أن الاتفاقيات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية في تلك الآونة، وإن كانت تتضمن أمورًا لايرتضيها الناس فإنها ستكون مقدمة لفتح عظيم ونصر مبين.[٧٠]

ثم أفرد الفصل الأول للحديث عن تعريف الدولة، وهي اجتماع جنس بشري بأعراق تكاد تكون متقاربة، وبديهي أن عمر الإنسان يمر بثلاثة أطوار،هي: النمو والقوة والانحطاط، وكذلك المراحل التي تتعاقب على الدول، ولا يخفى على أحد أن الإنسان في كل طور من هذه الأطوار الثلاثة تتغاير أحواله عن الطور الآخر، فعلى سبيل المثال يحتاج في صغره إلى تربية والديه ورعايتهم، فكذلك الدول عند قيامها وظهورها، تحتاج إلى تعاون الرجال وتعاضدهم، وكما أن الإنسان في شبابه يحتاج إلى إعمال الرأي والفكر كما يحتاج إلى السعي والجد لتحصيل أسباب العيش فكذلك الدولة تحتاج إلى النظام وتنظيم وإدارة الأحوال بالمال والخزائن التي تجلب بالقانون والعدل، وكما إن المدة بين نمو الإنسان وبلوغ أشده ليست طويلة فإن المدة بين نشأة الدولة وبين ثرائها بالمال والرجال والشوكة والإقبال قريبة، وكما أن الإنسان يبلغ أشده ويستوي عوده في مرحلة الشباب المرحلة الوسطى في حياته فإن الدول كذلك يطول شبابها وفقًا لمقولة: **"خير الأمور أوسطها"**، وفي هذه المرحلة يميل ملوك الدولة إلى العدل ويقولون الحق.[٧١] وإذا أصيبت الدولة بقصور الرأي وسوء التدبير، وسرت في أوصالها عوامل الضعف والوهن، كان ذلك نذير اقتراب

---

[٦٧] تاريخ نعيما، ج١، ص:١٦. مقدمة المؤلف.

[٦٨] سورة الفتح،آية:١٨

[٦٩] البخاري، الجامع الصحيح، حديث رقم٣١٨٤.

[٧٠] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٢١،٢٢. مقدمة المؤلف.

[٧١] معلوم اوله كه ملك وسلطنت معنا سنه اولان دولت بر نوع آيين اوزره اجتماع بشريه دن عبارتدر ، (خفى اولميه كه) اطوار ثلثه دن هر برينك مقتضياتى طور آخر ملزوماتنه مغايردر (مثلا) انسان حال صغرده پدر ومادر تربيه لرينه محتاج اولديغى كبى هر دولتك قيام وظهورى تعصب وتعاون رجالله در بعده هر كس اعمال فكر ورأى ايله اسباب معاشه دسترس بولديغى كبى هر دولتك نظامى دخى قانون عدل ايله جلب اولنان خزائن و اموال ايله منتظم الحال اولور وهر انسان سن نموده نيجه ترقيدن خالى اولمازسه هر دولتك اوائلى اواسطنه قريب زمانه دكين مال ورجال وشوكت واقبال جهتندن يوما فيوما نشو ونماده در هر شخص سن وقوفده كمالن بولوب نيجه بر حال اوزره طوررسه هر جمعيت اواسطنده زمان مديد برقرا رده اولور و بروفق **(خير الامور أوساطها)** حقه قائل وعدله مائل ملوك هر دولتده بوخلاله دوشر وهر انسان سن وقوفدن كچوب سن انحطاطه واردقده حواس وقوى تنزله آغاز ايدوب كتد كجه ضعف پيرى نيجه غالب اولورسه هر قومك اجتماعى حالى اواسطدن اواخره وارنجه زمان انحطاطده تمام بو منوال اوزره اولور يعنى منشأ حواس وقوى اولان حرارت ورطوبت غرز به نقصانه توجه ايتمكله. تاريخ نعيما،ج١،ص: ٣٢

أجلها، وقد قال الله تعالى:**"لكل أجل كتاب"** [٧٢]فإذا ماعادت إلى الرشد وأعملت العقل قد يتغير ذلك القضاء المعلق، كما قال الله تعالى:**" يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"**[٧٣]ولا يلزم أن يتردى المجتمع إلى نهاية الانحطاط حتى تسقط الدولة، فقد يقع القدر قبل حلول الأجل كمن يتجرع السم .[٧٤]

ثم عنون بقوله: في بيان الأطوار الخمسة المعتبرة التي تقع في جميع الدول، وذكر أنه أخذها عن ابن خلدون، هي: طور إقامة الدولة وتأسيسها، وهو طور القوة وخشونة العيش ووحدة الصف واقتناص النصر،[٧٥]الطور الثاني هو طور إبعاد الأعوان والأنصار عن المنافسة والانفراد بالحكم بلا منازعة،[٧٦]الطور الثالث طور الفراغ والراحة والسكون،[٧٧]الطور الرابع طور القناعة والمسالمة[٧٨]وهم يتبعون القوانين التي سنها أصحاب الطور السابق عليهم، ويقنعون بالمنافع التي حققتها لهم تلك القوانين، ويتبعون آثار أسلافهم، وساق نعيما في هذا السبيل قوله: **" حذو النعل بالنعل"**، فإذا عدلوا عن نهج سابقيهم ونكسوا عن سنة سالفيهم فسد عملهم وساء حالهم، فإذا كان بناة الدولة والمجد ذوي فكر سديد ورأي رشيد أكثر من المتأخرين، واشغل المتأخرون بشبع البطون والرفاهية والبطر، وسادت الرشى، وعم التباغض والتحاسد فإن ذلك مدعاة لتردي الأحول إلى الطور الخامس. أما الطور الخامس فهو طور التبذير والإسراف والإضاعة والإتلاف في معية قرناء السوء، فينفق المال على الزينة باسم التوسع في الملابس والمساكن وتستحدث فيه أبنية عجيبة، وينطبق عليه المعنى العجيب في قول العرب: **"شر الأمور محدثاتها"** والإسراف في الإنفاق على النساء والشهوات والملذات.[٧٩]

ثم ذكر نعيما بين قوسين (فائدة)، قال فيها ماترجمته: ذكر ابن خلدون في مقدمته مبحثًا عن العدل، وقد نقله عنه المرحوم قنالي زاده علي أفندي، وأدرجه في كتاب لطيف أسماه "أخلاق علائي"، وخلاصة الكتاب: إن الملك والدولة بالعسكر والرجال، والرجال بالمال، والمال من الرعية، وتنظم أحوال الرعية بالعدل، ويستشري الداء في أوصال الدولة من اختلال هذه العناصر الأربعة.[٨٠]**وقال فيها أيضًا عن قوة المال في الدولة والتوافق بين رجالاتها فقال ماترجمته:**

---

[٧٢] سورة الرعد، آية:٣٨.

[٧٣] سورة الرعد، آية: ٣٩.

[٧٤]. اوله كلمشدر وهر شخصك علامت شيخوختى صاچ وصقال اقلغى اولديغى كبى هيئت اجتماعيه ده زينت ظهورى نشانهٔ انحطاطدر زمان وقوف انقضاسندن صكره زينت ورفاهيته اعتنا آرتار ووضع قديم مهجور اولوب هر كس توسيع دائرهٔ شان وعنوان ايتمكه باشلر وكتد كجه اواسط ناس مسكن و لباسده وزرايه بلكه ملوكه مشاركت رتبه سنه قريب اولمغله انفراد واجتماعك مصرفى ارتوب كتد كجه تزايد بولمقدن خالى اولمز واردقجه ذوق و راحت عرف وعادت اولمغله رجال حرب حضور حضرى كدر سفر اوزرينه ترجيح ايده رك مستلزم انواع مشقت اولان مجاهده يى حراست وحمايتده قصور ايدر اكرچه **(لكل اجل كتاب)** فحواسنجه هر ظهور وانقضا محكمهٔ ازل وآزالده قضا و امضا اولنمشدر لكن آيت كريمهٔ **(يمحو الله ما يشاء ويثبت)** مفادى اوزره قضاء معلق ثابتدر پس بو تقديرجه هر جمعيت زمان انحطاط نهايتنه وارمق لازم اولميوب بلكه تناول سم ايلسه قبل حلول الاجل كير واجلى ايله.تاريخ نعيما، ج١،ص: ٣١.

[٧٥] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٣٤. مقدمة المؤلف.

[٧٦] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٣٤. مقدمة المؤلف.

[٧٧] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٣٦ مقدمة المؤلف.

[٧٨] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٣٧. مقدمة المؤلف.

[٧٩] تاريخ نعيما، ج:١،ص: ٣٩، مقدمة المؤلف.

[٨٠] (فائدهٔ) ابن خلدون مقدمهٔ تاريخنده بردائرهٔ عدليه ذكر ايدر قنالى زاده على افندى مرحوم اندن اخذ ايدوب اخلاق علائى نام كتاب لطيفنده درج ايتمشدر خلاصه سى بودركه ملك ودولت عسكر ورجال ايله در رجال مال ايله بولنور مال رعايادن حصوله كلور رعايا عدل ايله منتظم الحال اولور جميع دولته تطرق ايدن ضعف وكلال دائما بودرت ركنك اختلالندن منبعث اوله كلمشدر بواساسلرك تزلزلنه. تاريخ نعيما، ج١،ص:٤٠.

إن العجز المالي والتنافر بين قلوب رجالات الدولة يخلف عواقب وخيمة على الأمم، فندرة المال والشنآن بين رجالات الدولة وجنودها مدعاة لتوقف سلسلة الجهاد ضد الكفار، أو تخليص العباد من المخاطر والمصاعب التي تعترض سبيلهم .؟![٨١]

وقال أيضًا: ذكر الإمام المقريزي في مصنفه "كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك" مايلي: نشب الشقاق واحتدم النزاع بين ملوك الإسلام، وقد أدّى ذلك إلى سريان الضعف في كثير من الممالك الإسلامية، فأغرى هذا الحال الصليبيين لا سيما الفرنسيين بمهاجمة سواحل البحر الأحمر ووصلوا إلى الإسكندرية وتوسعوا حتى موانئ بلاد الشام والاستيلاء على القدس الشريف حتى استطاع السلطان صلاح الدين هزيمة الصليبيين بفضل التأليف بين قلوب الجنود وتدبير المال. [٨٢]

وقد صنف عبدالرحمن الشيرازي من علماء دولة صلاح الدين كتابًا ذكر فيه أن دفع مفاسد الأحوال في زمن الاختلال يكمن في تأليف قلوب الرجال وتوفير المال، وقد اقتبس المرحوم "عالي" فوائد جمة من هذا الكتاب ونقلها إلى اللغة التركية، وزينها بالعديد من العبارات والنكات في هذا السبيل، وسمى الكتاب باسم "نصيحة السلاطين"، وقد انتخبت هذه الفوائد في عبارات مقتضبة في رسالة خاصة وألحقتها هذا الكتاب راجيًا أن تكون ذكرى تستجلب الدعاء بالخير ممن يطالعونها.[٨٣]

أما الفصل الثاني من مقدمة تاريخ نعيما فقد ورد تحت ثلاثة عناوين:

الأول: الأضرار التي تلحق بالدولة نتيجة اعتياد الدعة والراحة، والحالات المرتبطة بالجبن والشجاعة عند أرباب البدو والحضر.

الثاني: زوال الملك بجور الوزراء وقهر الملوك وعنف الأمراء واضمحلال العلم، وساق المثل العربي: **"التجاهل في بعض الأمور تغافل"** وساق في ذلك بيتين بالعربية، لم ينسبهما إلى قائلهما، وهما بيتان مشهوران للشاعر العباسي محمد بن حازم الباهلي.[٨٤]

وإذا الكريم أتيته بخديعة .. فرأيته فيما تريد يسارع
فاعلم بأنك لم تخادع عاقلًا .. لكنه من فضله يتخادع[٨٥]

كما وظف في هذا السياق المثل العربي: **"سيروا على سير أضعفكم"**، ملفتًا نظر ولاة الأمر إلى الترفق بالرعية وحسن سياستهم، وحذر من الاغترار بسكوتهم عن الظلم وتردي أحوالهم. وأن لا يحملوهم ما لايطيقون، كما لفت أنظار الولاة والوزراء والقادة إلى عدم خداع السلطان فيما ينقلون إليه من أخبار الرعية.[٨٦]

الثالث: فوائد مهمة عن أرباب السيف والقلم، أفصح فيها عن أهمية الجيش وأهمية العلماء في بنيان الدولة، كما وضح فيه مكانة من جمعوا بين فضيلتي الجهاد والعلم.[٨٧]

---

[٨١] نيجه ملوك مال قلتي ووكلا وعسكرينك عدم موافقتي محذورندن سلسل جهادي محرك اولميوب صلح وصلاح سمتنه سالك اولديلربعضيلري دخي بو عوارض صعاب دردندن اهون شريني ارتكاب ايدوب بليه كفار استيعابندن ممالكي تخليص وعباد اللهي مهلكه تلفدن حفظ وتمحيص نيتي ايله نيجه مضيق محذوره عبور ايدوب . تاريخ نعيما، ج١،ص: ٤١.

[٨٢] إمام مقريزي(كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك) نام تاريخده ذكر ايدركه مائة سادسةدنكصكره ملوك إسلام بيينده عدم ايتلاف ووفاق حسبيله مخاصمه وشقاق ظهور ايدوب، مجادله يكديكره مشغوللر ايكن فرانسز كفره سي وسائر ملوك كفار على الخصوص نمجه طرفندن لشكر بيشمار استمداد ايدوب، عظيم دوننامه ايله اق دكز ياليلرينه ومصر واسكندريه اطرافنه يانشوب . قدس شريف ده استيلا ايتمشلر، ملك صلاح الدين ايوبي نور الله مضجعه اويله بو وقت اختلالده دفع مفاسد أحواله تأليف قلوب رجال وجمع ماله توجهله تدابير دلبزذير ايلديكنيي .تاريخ نعيما، ج١،ص:٤٣.

[٨٣] تاريخ نعيما،ج١،ص: ٤٤.

[8] محمد بن حازم الباهلي، ديوان الباهلي، ترتيب محمد خير البقاعي، دمشق ١٩٨٢، ص:٧٠.

[٨٥] تاريخ نعيما، ج١، ص: ٤٦. مقدمة المؤلف.

[٨٦] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٤٧. مقدمة المؤلف.

[8] تاريخ نعيما، ج١،ص: ٤٧، مقدمة المؤلف.

ثم ذكر بين قوسين (فوائد مهمة ونصائح لازمة)، فذكر أنه يجب على كل دولة تعيش في آخر الطور الثالث وفي الطورين الرابع والخامس تكثير الإيرادات وتقليل الإنفاق بغية دفع الخلل وسد العجز بين الإيرادات والنفقات، وهذا الأمر ليس اختياريًا بل ضروريًا، ويلزم إسناد الأمر إلى أهل الحل والعقد وأرباب العقول الذين يحسنون إدارة الأزمات، ويقدرون المصالح والمنافع، وقد ساق المرحوم كاتب جلبي في هذا الصدد نصائح كثيرة، وساق المثل العربي:**"رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"**، ويقول نعيما أيضًا: إن سياسة العوام لا ترتكز على القهر والزجر، وإنما تكون بالحكمة والإرشاد إلى النهج القويم، وإقناع العقول وترضيتها، وذكر في هذا المضمار قولًا نسبه إلى لقمان الحكيم:**" سلطان العقل على باطن العقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الأحمق"**، فالعوام ليسوا كالبهائم التي تساق بالزجر، وتُقاد بالقهر، وعضّد رأيه بقول نسبه إلى عمر بن عبد العزيز:**" طبيعة الإنسان لا تقبل النصح المجرد والمنع المحض مالم يظهر سلطان العقل والأخلاق المرضية"** [٨٨]

الفصل الثالث: توظيف الأمثال العربية في كتاب تاريخ نعيما

١. الأمثال التي ساقهاعلى سبيل الذم والنقد:

قول العرب:"النساء ناقصات عقل"

شغل الحديث عن تدخل نساء القصر في إدارة البلاد والجيش حيزًا كبيرًا في تاريخ نعيما، وقد أفرد لهذا الأمر العديد من العناوين سرد فيها عديدًا من الوقائع التي هزت أركان الدولة والجيش وكادت تعصف بهما، وكانت النزاعات الداخلية بين نساء القصر تصل حد الحروب الداخلية، فكم من وزراء وقادة ودبلوماسيين عزلوا من وظائفهم بسبب تدخل نساء القصر في إدارة الدولة، وكم من دماء أريقت بسبب النزاع بين والدة السلطان وأم ولي العهد، وقد ذكر مصطفى نعيما وقائع كثيرة في هذا السبيل، وحذر من هذا الوضع وضرب أمثلة عديدة على ذلك، منها قوله: **"النساء ناقصات العقل"**، وقد وردت هذه العبارة تحت عنوان: **"في ذكر اختلال أحوال الدولة وغلبة النساء على مقاليد السلطنة"**، يقول نعيما: أُعدم في زمن المرحوم السلطان مراد خان[٨٩]ولاة العهد الأقوياء، فانحصرت سلطنة الدولة العلية في السلطان إبراهيم خان، واقتضى الأمر أن يتناسل ولاة العهد الجدد من صلب السلطان إبراهيم خان، وتلك أقدس مهمة وأهمها في تاريخ البشر، وكان أركان الدولة وأعيان السلطنة يرسلون الجواري الحسان للسلطان عند الجلوس على عرش السلطنة، ويرغبونه في التوالد والتناسل، وكانت زمرة النساء ترى هذا السلوك وسيلة لتحقيق مآربهن، وكأنهن قد تحررن من ربقة الحبس في الحرملك الذي مكثن فيه أزمنة مديدة، وباتوا يلهين السلطان ويوقعونه في هوة عميقة الأغوار من شهوة اللذة واتباع الهوى. وكانت النساء يذهبن في سن التعليم لتعلُّم أمور عجيبة، فألف السلطان مجالسة النساء ومسامرتهن، وأضحى النساء ناقصات العقل يتدخلن في شئون الدولة، ويستحسن ما يوافق أهواءهن، وبهذه الذريعة ظهر عديد من الأمراء، وكان الشعب يسخر من هذا الوضع ويجأر بالشكوى من ذلك، يبد أن تدخل النساء في سياسة الدولة وسيطرتهن قد أخل بالنظام، وشرع أولو الحكمة والبصيرة في البكاء على حال الدولة، مما فرض على السلطان أن يعين كل سنة خمسة أو ستة أغاوات في الحرملك، وكانوا يتقاضون مائة ألف قرشًا إضافة إلى أعطيات تابعيهم والملحقين بخدمتهم. وقد نجم عن هذا موجات من الإسراف في الداخل والخارج تحملتها الخزينة العامرة، ومرت الدولة بأوقات عصيبة وتضاءلت الأموال التي تعطى للموظفين، وحُرم أكثر أرباب الوظائف القديمة من وظائفهم، وأضحت أكثر الخدمات والمناصب تنال بشفاعة النساء، وصارت جميع المناصب

---

[٨٨] تاريخ نعيما، ج١،ص:٥٦.

[٨٩] السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول، حكم من عام ١٦٢٣م وكان في الحادية عشرة من عمره، وتوفي عام ١٦٤٠م وهو ابن سبع وعشرين سنة.

العلمية والعسكرية حتى المناصب الخارجية تباع بطريقة المزايدة، وكثرت التبديلات في الوظائف، وعمت الرشى في سبيل الوصول إلى المناصب، وفي سبيل الترقي من منصب إلى منصب أعلى، وكانت تمنح السناجق والأيالات وفيرة المحاصيل للأصدقاء والندماء وأغاوات الحرملك والوكلاء، أما الفقير والمسكين ومن لا يجد قوت يومه ومن أثقلت كاهله الديون ومن أرهقته الحاجة والخدم فمحزنون أذلاء، وكان ذلك الحال أيضًا مع أهل العلم الذين كانوا يكابدون شظف العيش، وكانت الخزينة في الأستانة موقوفة على عطايا أصحاب المناصب والمصالح والرشى المأخوذة ضمن المصالح. وقد أدى ذلك إلى خلل عظيم في بنيان الدولة، وأُرسلت الرسل إلى كل من مصر وبغداد وسائر الولايات التابعة للدولة يجمعون المال بهذه الذريعة، وخُربت القرى بسبب هذا الظلم، كما تدهورت الأحوال في الأستانة وخارجها.'[٩٠]وقد تفرد مصطفى نعيما بميزة تتبع الأحداث داخل اسطنبول وخارجها، فقال في هذا الصدد تحت عنوان:

تتمة الأحداث

ومن الأمور العجيبة أنه اقتضت الحاجة إحضار الثلج إلى السلطان، وكانوا يجلبونه له من جبل القسيس في بورصا وصدر أمر شريف بحق مولانا إدريس أفندي قاضى بورصه بتهمة التقصير، فصعد الرجل نفسه الجبل لتكسير الثلج، وعزل من وظيفته، وكاد أن يموت كمدًا، وشاع هذا الخبر بين الناس حتى سمع به أصحابه، فشفع له قاضي الشام بإيعاز من إحدى موظفات القصر العثماني وهي زوجة ابن شيخ زاده قاضي الشام، وأعيد إدريس إلى وظيفته مرة أخرى.[٩١]

ويقول أيضًا تحت عنوان **"سلسلة"**: وفي تلك الآونة عزل بالتسلسل عثماني زاده خروس أفندي من ديار بكر، وحل مكانه ملا جلبي من حلب إلى ديار بكر وحل مكانه صنعى زاده بروسه قاضي حلب، وعين إسماعيل زاده محمد أفندي في القدس الشريف، وعين إمام أوغلى طقوز زاده قاضيًا على البوسنة، وفى الثالث من شهر شعبان عُزل إمام أوغلى زاده وعين مكانه محمد زاده قاضى غلطه، ونقل شعراني زاده قاضيًا على القدس الشريف، وعين ملقب مصلح الدين قاضيًا على الشام، ومنح شيخي زاده عبد الرحمن جلبي عشرة آلاف قرش وعين على قضاء سلانيك، وطلب الحرم الهمايوني إعطاء مولوية طرابلس لمجذوب مجهول، ولما لم يجب الطلب وجه الصدر الأعظم بتوجيه من إحدى موظفات القصر.'[٩٢]قال عن حالات العصيان التي نشبت بسبب تدخل النساء في إدارة شئون الدولة:

الآية الكريمة:"إن الإنسان ليطغى"[٩٣]وقول العرب:"هيهات، رب أمنية تضحك منها المنية"

استعمل مصطفى نعيما عبارات شديدة تعبر عن مدى الطغيان الذي وصل إليه تدخل النساء في إدارة الدولة، ثم تحدث عن عجيب قدر الله تعالى في مخالفته أطماع الظالم المستبد، فاستشهد بقول الله تعالى: **"إن الإنسان ليطغى"** وبالمثل العربي: **"هيهات، رب أمنية تضحك منها المنية"** في معرض حديثه عن والده سلطان، وردت الآية الكريمة والمقولة العربية في الجزء الخامس تحت عنوان تفصيل أحوال والده سلطان. وقد جاءت أمثال مصطفى نعيما متطابقة في هذا السبيل مع الغرض التي وظفها فيه.

يقول مصطفى نعيما: ذكر المؤرخون في هذا الصدد تفاصيل كثيرة مبنية على السماع وتبعث على السآمة والملل، ورأيت أنه من غير المناسب ذكر هذه الروايات، ولما كان الهدف من التاريخ ذكر الحقائق والدقائق والخروج من كل قصة تعرض بالعظة والعبرة فقد حذفت هذه الروايات

[٩٠] انظر تاريخ نعيما، الجزء الرابع، ص٢٤٣ – ٢٤٤.
[٩١] تاريخ نعيما، ج ٤، ص ٢٤٥.
[٩٢] تاريخ نعيما، ج ٤، ص ٢٤٥.
[٩٣] سورة العلق،آية:٦.

الغريبة، ووفقًا لما ذكر المؤرخون فان سطوة بيوك والده سلطان كوسم قد بلغت حدًا عظيمًا، علمه مَن في القصر والشعب على حد سواء؛ ذلك لأن السلطانة المشار إليها كانت تدير الدولة والسلطنة وكانت صاحبة اليد الطولى في جميع الأمور، وكان الحال أيضًا عندما تولى السلطان محمد خان[٩٤] الحكم، أدارت أمه ترخان خاتون أمور البلاد، ولا ريب أنه ظهرت عواقب وخيمة بسبب تدخل ترخان خاتون ومن قبلها سلطانه كوسم في أمور البلاد فكان لكل منهما أغاوات، ولكل أغا أتباع، وكان ينشب الشقاق والتنافر بين الفريقين، وكان كل فريق يضمر الشر للآخر، ويسعى سعيًا حثيثًا للانتقام من الفريق الآخر، وحدثت عمليات قتل واغتيال بين الفريقين، كما حدثت عمليات استمالة لفرق الإنكشارية وأغاواتها ضد بعضها بعضًا، وقد حاولت دل آشوب سلطان والدة الأمير سليمان شقيق السلطان أحمد تنحيته عن العرش وتنصيب ابنها سليمان، ولكن باءت محاولتها بالفشل، ويسخر المؤلف من ذلك فيورد بين ثنايا كلامه المثل الذي يقول: **"هيهات، رب أمنية تضحك منها المنية"**، فقد قدم الشراب المسمم للسلطان أحمد، بيد أنه نُبه إلى ذلك فلم يشرب، وفي أعقاب ذلك عوقب كثير من موظفي القصر. وقد استحوذت كوسم والدة السلطان إبراهيم على مقاليد الحكم، بعد خلع ابنها السلطان إبراهيم ومقتله، فلما تولى الحكم من بعده ابنه محمد الرابع وكان طفلًا صغيرًا شرعت في إدارة شؤن البلاد مستعينة بأغاوات الأوجاق وأغاوات السراي والصدور العظام الضعاف وقد أدى ذلك إلى سخط الشعب ونشوب كثير من حركات العصيان.[٩٥] ويبين مصطفى نعيما العبرة من الأحداث فيقول تحت عنوان:

قتل جلالي إبراهيم أغا

كان إبراهيم أغا المعروف جلالي أغا دار السعادة . وقد عرف عنه إن صدقًا وإن كذبًا اتفاقه مع السلطانة الوالدة ثلاث مرات على قتل السلطان إبراهيم، وقد أغراه عمله داخل القصر واتفاقه مع السلطانة الوالدة على الطغيان والظلم حتى إنه تطاول على السلطان وأهانه عن قصد، وقد قتل إبان ذهابه إلى مصر وصودرت أمواله، وعين سليمان أغا مكانه في دار السعادة.[٩٦] وقال في هذا الصدد أيضًا تحت عنوان:

"ومن ذلك أيضًا ما ذُكر"

كان خواجه زاده مسعود جريئًا جسورًا يعترض على السلوكيات الشاذة للوزراء عندما كان قاضيًا للعسكر ولم يكن يتوانى عن توجيه انتقاداته الشديدة في مجالس الديوان والمشورة، وكان ينطق بالحقيقة المرة، وكان ذلك يلفت انتباه كل من والدة سلطان والسلطان، وقد كتبت آنفا عن المحاورات الشديدة اللهجة التي دارت بينه وبين الصدر الأعظم كورجى محمد باشا التي تجاوز فيها الحدود المعتادة، من أجل ذلك فلقد ادعوا كذبًا صلتة بواقعة چنار، وأنه كانت تربطه أواصر علاقة بالمتمردين . ولكى يدفع عن نفسه التهمة التي حاولوا الصاقها به فقد اعترف أنه بذل جهدًا حثيثًا لإثناء المتمردين عن تمردهم، ولم تكن له أغراض خفية من ذلك، وقد تسامح القصر عن بعض زلات الشخصيات التي ثبت انتسابها إلى هذه الواقعة، أما الوشاة فقد سعوا إلى تدنيس عرضه، ولم تطق نفسه تحمل هذه الاتهامات فتشاور القائم مقام مع حيدر باشا المعزول، فنصحه هذا

---

[٩٤] السلطان محمد الرابع ابن السلطان إبراهيم الأول، ولد عام ١٦٤١م، وتولى الحكم في السابعة من عمره بعد تمرد الإنكشارية الذي انتهى بخلع أبيه.

[٩٥] تاريخ نعيما ، ج ٥، ص ١٠٦

[٩٦] تاريخ نعيما، ج ٥، ص ١٠٠

المعتوه بالتمرد والسعي إلى تولية الأمير سدة الحكم ثم أبلغ عنه سرًا فصدرت الفتوى بعزله وقتله.[٩٧]

قول العرب:"لا ينفعك الأمير إذا عاداك الوزير"

من الأمثال التي أوردها مصطفى نعيما في كتابه التاريخ، يصف بها حالة الضعف التي كانت تعتري الدولة في ذلك العصر حتى أضحت سلطة الوزير نافذة على سلطة الأمير، وكان هذا الحال نتيجة طبيعية لأمور عديدة سبقت الإشارة إليها، منها سياسة قتل الإخوة أو قتل الأمراء، وكانت سياسة متبعة منذ زمن قديم في الدولة العثمانية تحت ذريعة الحفاظ على كيان الدولة من السقوط، والانهيار والتفتت، وقد أقر بوجودها مصطفى نعيما وندد بها، ومنها أيضًا سياسة حبس ولاة العهد في قصور بعيدًا عن الناس، وعدم إشراكهم في إدارة شئون البلاد، فيخرج ولي العهد مباشرة إلى الحكم مكبلًا بالاضطرابات النفسية الناتجة عن الحبس، فتضعفه أمام الوزراء والقادة ونساء القصر. ساق مصطفى نعيما المثل سالف الذكر تحت عنوان: **"مناقشة صاحب فضلى باشا مع الصدر الأعظم في حضور السلطان".**

كان قد ذهب داماد فضلى باشا قبل هذا العام أميرًا على سرية عسكرية إلى الروميلي، وعاد في شهر ربيع الأول من هذه السنة إلى الأستانة، وذكر في أثناء مقابلة السلطان تدهور أحوال الرعايا في الروميلي واستيلاء الكفار على بعض القلاع الحدودية في بلاد الروميلي، فقال السلطان: ذكر وزيري أن الأوضاع مستقرة في البوسنة، ألا تعلم أن كلامك يناقض كلامه؟!

يقول نعيما: ورتب السلطان لقاء جمعهما في حضرته، فكذب الوزير الأعظم ما قاله فضلى باشا جملةً وتفصيلًا.

وأردف نعيما قائلًا: ما لبث الوزير الأعظم أن ألّب السلطان وذكر أن فضلى باشا أراد إظهار النقائص في إدارة السلطنة، وأن الحقد الباعث على كلامه، ولا يزال يوغر صدر السلطان عليه حتى أمر بحبسه.[٩٨]

قول العرب:"البغض يتوارث"

انتقد مصطفى نعيما ظاهرة قتل الأخوة التي كانت سائدة في القصر العثماني نقدًا لاذعًا، فوظّف في هذا الصدد المثل العربي **"البغض يتوارث"**، في أثناء حديثه عن وفاة السلطان مراد الثالث تحت عنوان: انتقال حضرة السلطان مراد من العالم الفاني إلى ضريحه ملأه الله نورًا.

يقول نعيما: كانت قد اعتلت صحّةُ السلطان مراد في جمادى الأولى من عام ألف وثلاثة من الهجرة، واستدعوا له الأطباء، وظل تحت تأثير العلاج، ولما داهمه المرض وساءت حالته نَزَل إلى نُزُل سنان باشا، وأُمر من في القصر بترديد الأوراد النقشبندية والأدعية، ودخل الوزراء وقضاة العسكر القصر دون أن يعلموا شيئًا عن حال السلطان، وكان أغا باب السعادة لا يطلع الوزراء على شيء، فكشف هذا السر بوستانجي باشا واستعجلوا إحضار الأمير محمد الذي كان واليًا على مغنيسه آنذاك ليكون بجانب العرش، ولما أعلنوا وفاة السلطان مراد صلوا صلاة الجنازة عليه في مسجد آيا صوفيا بحضور الوزراء والعلماء والقادة، ولم يكد يرجع السلطان محمد الثالث إلى القصر حتى أمر بجمع إخوته وكانوا تسعة عشر أميرًا، فأمر بقتلهم، وصلى المفتي عليهم صلاة الجنازة ووروا الثرى دون ذنب أو جريرة عملًا بسياسة قتل الإخوة، وكان ذلك سببًا في أن

[٩٧] تاريخ نعيما، ج ٥، ص 188 و 189

[٩٨] تاريخ نعيما، ج ٤، ص ٢٨١.

البغض يتوارث في الأسرة الحاكمة.[٩٩] لا ريب أن المثل الذي ساقه مصطفى نعيما في هذا المضمار يتطابق مع السياق.

٢. الأمثال التي جاءت على سبيل المدح والثناء:

أورد مصطفى نعيما أمثالًا في مدح انتصار الجيش العثماني في معركة خاض غمارها، أو مدح قانون صدر عن القصر وحظي بإعجاب مصطفى نعيما، ومن ذلك **قول العرب:"قد ملكت فاسمح"** والآية الكريمة:" **ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا**"[١٠٠]؛ والآية الكريمة:" **ويسعون في الأرض فسادًا**"[١٠١] وقول العرب:"**السيف محاء الذنوب**".

وردت هذه الأمثال بالترتيب تحت عنوان واقعة جغالة زاده عند حدود العجم

يقول نعيما: استطاع أمير الجيش جغالة زاده العام الماضي أن يحمي الجيش في ديار بكر ويحول دون حدوث كثير من المصائب، وقد رفع من استعدادات الجيش في أرضروم هذا العام، وعندما كان في قلعة حسن فإنه عزل محمود باشا من ولاية شروان وولاه على ولاية ديار بكر، وأعطى ولاية شروان أحمد باشا ابن حسين باشا، وسمع أن العجم يجمعون قواتهم لدخول مدينة تبريز، والتقى الجيشان في الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، ورجع القزلباش مهزومين، ثم أغاروا مرة أخرى في الرابع والعشرين من الشهر المذكور بعد أن وحدوا صفوفهم تحت لواء واحد، بيد أنهم لما هزموا مرة أخرى أمام العثمانيين عسكروا في ضواحي مدينة تبريز، وتواصلت إمدادات الجيش الصفوي، فجمع جغالة زاده باشا أمير الجيش كلًّا من والي تبريز ووالي أرضروم كوسه سفر باشا، وبالجملة جمع اثني عشر من أمراء الجيش، ولامهم على سوء تدبيرهم وفساد خططهم، وهجم الجيش العثماني هجومًا عنيفًا على جيش القزلباش والتحم الجيشان من بعد الظهر حتى صلاة العصر، وأعمل الجيش العثماني فيهم القتل، ولم تغرب الشمس إلا بهروب الشاه، وكان لسان حال القزلباش يقول: **"قد ملكت فاسمح"**، فتشتت شملهم في الجبال، وقد قضى الله فيهم قوله: **"ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا"**، وكان ذلك جزاء إفسادهم في الأرض، وقد قال الله عن المفسدين:**"ويسعون في الأرض فسادًا"**، وكان التأديب الإلهي لهم بالسيف كما قيل: **"السيف محاء الذنوب"** .[١٠٢]

الآية الكريمة: "ومزقناهم كل ممزق"،[١٠٣]؛ قول العرب: "العفو زكاة الظفر"

ورد تحت عنوان: وقائع سنة سبع عشرة وألف، يقول نعيما: توجه السردار الأعظم مراد باشا لاستئصال شأفة قلندر أوغلى في الأناضول وفي ديار قرمان والعديد من ملوك الطوائف، وكذلك جانبولاد أوغلى، فقد قرئت الخطبة وسكت العملة باسمه، ولما أعلنا العصيان التف حولهما أتباع كُثر وامتد إفسادهما إلى مغنيسه وبورصه، وانضم إليهما قره سعيد، وكونوا جيشًا من ثلاثين ألف متمرد، وأحرقوا بورصه، ولما وصل خبرهم إلى إستانبول فزع الناس وخافوا أن يمتد عصيانهم إلى إستانبول، وقد استطاع قلندر أوغلى هزيمة القوات العثمانية التي أُرسلت للقضاء عليه، فزاد طغيانه وإفساده، وأحرق وخرب العديد من مدن بحر ايجه، ولما أرسل السلطان مراد باشا لقمع تمرد قلندر أوغلو والتقي الفريقان، أباد الجيش العثماني قوات قلندر أوغلى، وشتت شملهم، وصدق

[٩٩] تاريخ نعيما، ج ١،ص١٠٦،١٠٧.

[١٠٠] سورة الأنفال، آية:٤٢

[١٠١] سورة المائدة، آية:٣٣.

[١٠٢] ج ١،ص ٤٢٥.

[١٠٣] سورة سبأ، آية: ١٩.

قول الله :**"ومزقناهم كل ممزق"**، وقد شارك في هذه المعركة جنود من ولاية مصر، وقد تحرك كل من ذي الفقار باشا والي قرمان وتمكجي باشا والي الروميلي بعتادهم للانضمام إلى الجيش العثماني بقيادة مراد باشا، بيد أنهم تأخروا في اللحاق بالجيش، ولما منّ الله على مراد باشا بالنصر عفا عنهم ولم يعاقبهم، **"فالعفو زكاة الظفر"**.[١٠٤]

قول العرب: "اللئيم كالنار إكرامها إضرامها"

ورد هذا المثل عند حديثه عن إخماد تمرد الجلالي، يقول مصطفى نعيما: كان المرحوم السلطان قد صرف همته لدفع الفتن والشرور التي حاقت بالمدن الإسلامية على يد كفار أفلاق وأنكروس، ولم تُستأصل شأفة الشر والفتن بسبب تقصير أهل الحل والعقد، وامتدت الفتن والشرور طوال خمسة عشر عامًا حتى وصل قطاع الطرق وأراذل القوم بشرهم إلى الأناضول، وكانت الأوضاع تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وكثرت أعمال النهب والإغارة وهتك الأعراض وكان أحد قادة تمرد الجلالي وزعيم هذا العصيان قره يازيجي، الشهير باسم عبد الحليم وكان زعيمًا لإحدى فرق الإنكشارية المكونة من قرابة عشرين ألف مقاتل غير نظامي، وقد عُزل من وظيفته بسبب سوء تدبيره وعُهد إليه بمنصب آخر، بيد أنه رفض الانصياع للأوامر، فعاث في الأرض فسادًا، وجمع حوله قطاع الطرق والمتمردين، وخرج من سيواس وطوقات، وهزم القوات التي أُرسلت لقمعه، وأعلن سيطرته على مدينة أورفا، واجتمع حوله قوات الجلالي الذين تمردوا من قبل، وزادت شهرته في الأناضول، ولم يستطع هزيمته سوى والي بغداد صوقللو محمد باشا زاده حسن باشا الذي حاصر جيش قره يازيجي في طوقات، وهزمه شر هزيمة، ولاذ قره يازيجي بالفرار جريحًا، وقد لقى مصرعه، ثم تولى أخوه دلى حسن قيادة المتمردين، فداوم على الإفساد في الأرض والسلب والنهب، وكان في معيته ابنه محمد، ثم انتقل إلى طمشوار، وانتهى به المطاف إلى بلجراد، وقتله هناك ترياقي حسن باشا، وقد صدق فيه قول العرب: **" اللئيم كالنار إكرامها إضرامها"**.[١٠٥]

قول الشاعر: **"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى... حتى يراق على جوانبه الدم "**[١٠٦]

وظف مصطفى نعيما هذا البيت الشعري عند حديثه عن أوصاف مراد باشا الصدر الأعظم الذي أخمد الفتن وقضى على تمرد جنبلاط وتمرد قلندر أوغلى، فيذكر أنه وإن كان قد سفك دماءً كثيرة للقضاء على هذه الانشقاقات إلا أن ذلك كان من أجل شرف الدولة وسؤددها.

وساق في ذلك قصة الخضر عليه السلام مع سيدنا موسى في قصة الغلام، وأنه كان من الضروري قتال هؤلاء الخوارج الملاعين كما أمر سيد المرسلين، وكما قال الشاعر :**لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم** .[٧]ويبدو أن مصطفى نعيما قد لوى عنق بعض الأمثال التي وظفها في هذا السياق، فقصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام غير متشابهة مع السياق، أما بيت المتنبي فإن معناه يتطابق مع السياق الي وظفه فيه مصطفى نعيما.

قول العرب:"الخمر أم الخبائث "

ورد هذا تحت عنوان الخمر أم الخبائث، يقول مصطفى نعيما: أمر السلطان في جمادى الآخرة من هذا العام، بتعميم تحريم الخمر، وتطهير البلاد من خبثها ومنع شربها ونقلها وتجارتها، لما

---

[١٠٤] تاريخ نعيما،ج ٢،ص ٣٣-٣٤.
[١٠٥] تاريخ نعيما،ج ٢، ص ٤.
[١٠٦] ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣،ص:٤٢٣.
[١٠٧] تاريخ نعيما،ج ٢،ص ٤٤.

فيها من مفاسد وشرور فهي أم الخبائث وأصل الفتن وهو بذلك يرفع من لواء الشرائع وينكس أعلام الشنائع .[١٠٨] ولا ريب أن المقولة العربية تتطابق مع السياق.

٣. الأمثال التي ساقها على سبيل الاتعاظ والتدبر:

إن الهدف الأسمى من التاريخ في نظر مصطفى نعيما يكمن في التدبر والتفكر، فقال في غير موضع: ولما كان الهدف من التاريخ ذكر الحقائق والدقائق والخروج من كل قصة تعرض بالعظة والعبرة فقد أوردت هذه الحكايات، وقد ذكر إحدى الوقائع التي ساق فيها هذه الآية: **"ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق"**[١٠٩]؛ وقول الشاعر:

"إذا كانت النفوس كبارًا *** تعبت في مرادها الأجسام"** [١١٠]

وردت الآية الكريمة والبيت الشعري في الجزء الثاني تحت عنوان "قتل الوزير الأعظم نصوح باشا ووزارة محمد باشا"، يقول نعيما: ينسب نصوح باشا في الأصل إلى قرية كوملجنه، ودخل إلى القصر الهمايوني، وكان في خدمة مصاحب محمد أغا، وتدرج في الوظائف العسكرية حتى وصل إلى منصب أمير أمراء حلب، ولما ساند القائد جغالة زاده في حصار جانبولاد أوغلى رُقى إلى رتبة وزير، ثم واليًا على بغداد، ثم واليًا على ديار بكر، ولما مرض قبوجي مراد باشا في حربه ضد المتمردين في ديار بكر رُقى إلى منصب قائممقام، ثم إلى منصب الصدر الأعظم وعُهد إليه إبرام صلح مع العجم، سمي فيما بعد صلح نصوحي باشا، وصاهر السلطان العثماني، فقد تزوج عائشة سلطان عام ١٦١٢م، وكان معروفًا بصرامته وشدته، وباشر إصلاحات كثيرة في إستانبول، وأدار محادثات السلام في أدرنة مع النمسا، وحل مشكلة الأردل[١١١] ويذكر أنه لما كان أمير الأمراء في حلب كان يأمر باستقصاء أحوال فخر الدين معين أوغلى، وكان يذكي نار الخصومات التي كانت تندلع ضده، وكان يؤلب عليه حافظ أحمد باشا متذرعًا بنقص الأموال والضرائب التي أرسلها للدولة، وما فتئ يدبر له المكائد حتى غادر صيدا وفر إلى أوروبا، أما الأحداث التي وضعت نهاية نصوح باشا فكان تمرد القازاق في سينوب التي لم يعرها اهتمامًا، وأفقدته ثقة السلطان، وكان صلاحيات نصوح باشا قد زادت بسبب المصاهرة التي كانت تربطه بالقصر، فكان يعزل من شاء ويولى من شاء، فضلًا عن أنه كان يفرض ضرائب ومقتطعات غير قانونية. ونُسب إليه العنف المفرط، وقتل النفس بغير حق، والله يقول: **"لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق"**. وناصب العداء لشيخ الإسلام خوجه زاده محمد أفندي وأغا دار السعادة مصطفى أغا، وإمام السلطان صافي مصطفى أغا، وكانت ثالثة الأثافي ما نقل عن تعاونه سرًّا مع شاه إيران الشاه عباس، وأنه أعاد أسرة محمد كراى إلى الحكم في القرم، وكانت نفسه تتوق إلى السلطنة، وقد استدعاه السلطان إلى القصر للتحقيق معه، فتذرع بمرضه فأرسل إليه فرقة من جنود الإنكشارية، فحاصروا بيته، وعجز عن تبرئة ساحته، وقضى بقتله .

قول العرب:"الظالم عدو الله في أرضه ينتقم به ثم ينتقم منه"

وردت هذه العبارة تحت عنوان: "قتل أغا الإنكشارية السابق كوسه محمد أغا والقضاء على بعض قطاع الطرق والمتمردين".

---

[١٠٨] تاريخ نعيما،ج ٢،ص ١٠٧.

[١٠٩] سورة الأنعام، آية: ٣٣.

[١١٠] ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣،ص:٤٢٥.

[١١١] أحد أقاليم رومانيا، كان تابعًا للدولة العثمانية.

يقول نعيما: إن عقاب المسيء ومكافأة المحسن من مقتضيات العدل، وكان كوسه محمد أغا ممن خدموا السلطان وأخلصوا له، وقد بذل مساعي مشكورة في تثبيت أركان الدولة، وفي الوقت ذاته تجاوز الحد في الظلم والقسوة.

وكان له الفضل في الانتصار في الحروب التي دارت رحاها ضد العجم وأظهر عزيمة فائقة في فتح قلعة مهربان، وكان السلطان مراد الرابع يعهد إليه بمهام سرية، لشدة قربه منه. وكان عصر السلطان مراد الرابع يموج بالفتن والاضطرابات، ولما بلغ السلطان مراد الرابع أشده وأراد إبعاد أمه عن دائرة السياسة وإدارة شؤون الدولة استعان بأغا الإنكشارية كوسه محمد أغا، وقد عُرف بالشدة والقسوة في التعامل مع الخصوم، ولما أمر السلطان بتجريد حمله عسكرية إلى إيران عندما حاصرت قوات الشاه مدينة "وان" أرسل معهم كوسه محمد أغا، ولما وصلوا إلى مدينة حلب تمرد ما يقرب من خمسمائة من الإنكشارية، فحاول كوسه محمد أغا تهدئتهم، بيد أن جهده باء بالفشل، فجمع عديدًا من قادتهم وقتلهم، وفر كثير منهم إلى إستانبول، وفي ذلك الحين، ذهب كاتب الإنكشارية شعبان أفندي سرًا إلى إستانبول وأعلم السلطان الخبر، فأرسل السلطان مراد نصوحي باشا زاده بن حسين أغا على رأس فرقة من الجيش وأمره بقتل كوسه محمد أغا أينما ظفر به، بيد أن نصوحي باشا لم يقتله، فقبض عليه وعاد به إلى إستانبول، ولما مثل أمام السلطان مراد ذكر الخدمات التي أسداها له، وأنه كان سببًا في توطيد أركان ملكه، وهدده بأنه لن يجد أحدًا مثله، فغضب السلطان وأمر بقتله.ويبدو من السياق أن ثمة تشابه بين المثل وبين الغرض الوظيفي الذي وظفه فيه مصطفى نعيما، وإن لم يكن متطابقًا تمامًا.

قول العرب:"من زرع الفتن حصد المحن"

يتحدث عن القرارات التي أصدرها جغاله زاده بن يوسف سنان باشا بعد تعيينه في منصب الصدر الأعظم، بعد سلسلة الحروب التي خاض غمارها ضد النمسا، ومهد لانتصار العثمانيين، وكان يشغل من قبل منصب أغا الإنكشارية، فقد عين في السابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٥٩٦م في منصب الصدر الأعظم، وأعلن فور توليه هذا المنصب قطع الاستحقاقات التي كانت تجري على ثلاثين ألفًا من جنود الإنكشارية، ونزعهم التيمارات الممنوحة لهم، وتعقب الفارين منهم، وقد سبب هذا القرار الصادم موجة من الدهشة والاستغراب في أوساط الجيش العثماني، كما أدهش العامة أيضًا، ويقرر نعيما أن هذا القرار العجيب لم يصدر عن صدر أعظم قبل جغاله زاده، وكان هذا القرار الذي وصفه بأنه سوء تدبير سببًا في هروب الجنود من الجيش وفرارهم، وكان معول هدم في الجيش العثماني، وباعث زوال للدولة العثمانية كما أنه أخل بوضع الدولة العثمانية بعزله غازي كيراي عن القرم وتعيين فاتح كيراي مكانه، وكان ذلك السلوك سببًا في الإخلال بأركان دولة التتار في القرم كما كان سببًا في قتل فاتح كيراي، وكان سببًا في التعجيل بعزل جغالة زاده من منصب الصدارة العظمى الذي لم يمكث فيه سنة واحدة.[١١٣]

قول العرب:"من استبد برأيه خسر".

وردت هذه المقولة تحت عنوان: تفصيل أحوال اليمن. يقول مصطفى نعيما: ذكرنا آنفًا أن الشريف قاسم ابن الشريف محمد من الزيدية حاز لقب الشريف بعد أبيه، وأنه كان يسعى للسيطرة على اليمن، وقد حاصر حيدر باشا في صعدا، كما حاصر القوات العثمانية في زبيد، وقد وصل ايدين باشا والي الحبشة برتبة أمير الأمراء إلى مخا، وعند وصوله شيد قلعة وزودها بألفي بندقية، وعين محمد سود باشا قائدًا عليها، واستقر في مخا، وقاتلت العشائر العربية في صفوف الإمام

[١١٢] تاريخ نعيما، ج٣، ص ١٧٦ – ١٧٧ – ١٧٨

[١١٣] تاريخ نعيما، ج١، ص ١٧١.

قاسم، وواصلوا حصارهم القواتِ العثمانية، ولما حاول محمد باشا استمالتهم رفضوا متعللين بعروبتهم ومروءتهم التي تجعلهم يقاتلون في صفوف إمامهم. وفي تلك الأثناء ذهب أحمد باشا إلى جدة، وعزل شريف مكة شريف اليمن ونصب مكانه الشريف أحمد، ولما ساءت أمور القوات العثمانية في اليمن أرسلوا إلى محمد باشا والي مصر، وأبحرت القوات المصرية بقيادة محمد باشا من السويس، ولما وصلت إلى جده حملت شريف اليمن الشريف أحمد الجديد إلى اليمن، وعندما وصلوا إلى ميناء مخا قُتل أيدين باشا، ومات حمزة أغا بيراق، وتوجه قانصو باشا إلى زبيد، وكان قد تجمع العرب تحت لواء الإمام قاسم، وهزمت القوات العثمانية أمام القوات العربية، وسيطر الإمام قاسم على مدن كثيرة في اليمن، ولما بعث الإمام قاسم يطلب الصلح مع القوات التي يقودها والي مصر، رفض محمد باشا والي مصر واستبد برأيه ومن استبد برأيه خسر، وكان عاقبة ذلك نشوب الحروب مرة أخرى بين القوات العثمانية وقوات إمام اليمن، وانتهت بالاعتراف بسيطرته على المدن التي يحكمها وخروج العثمانيين من اليمن.ؤفقد تطابق المثل مع السياق تطابقًا تامًا.

وقال أيضًا في هذا الصدد:

ذكر عصيان واردار علي باشا وتمرده

أرسلت الدولة في شهر رمضان الشريف رسولًا إلى واردار علي باشا أمير أمراء سيواس، وكلفه بإرسال ثلاثين ألف قرش من خراج سيواس، فجمع الباشا المذكور أعيان سيواس ودعاهم إلى كتابة تقرير عن محصول سيواس وعدم قدرتهم على جمع هذا القدر من الخراج بأي حال. فأرسلت الدولة أوامر بإحضار واردار علي باشا فرد بأنه كيف يتسنى له جمع هذا القدر من المال، والتف الشعب حول علي باشا، فحمله ذلك على الاستمرار في دعواه، فأخذ في تعداد الفساد الذي يهيمن على أركان الدولة، وذكروا أنه لما صارت أمور الحل والعقد في السلطنة بيد طائفة من النساء، فقد تشتت أمر الرعايا والحكام بسبب عزل الأمراء والقادة في فترات وجيزة، وحل الخراب على الدولة واجتمع من كانوا في منصب الوالي واتفقوا على القضاء على هذه القاعدة المشينة ورأوا أنه يجب عرض الأمر على السلطان، وأنها من المعلوم من الدين بالضرورة، وأنه من الضروري مرور ثلاث سنوات قبل التغيير في منصب من المناصب العسكرية، وأنه لا يكون إلا بإصدار قرار سلطاني ينص على ذلك، ويكون ذلك أمرًا مقررًا في البلاد والأمصار، وأعلنوا بذلك الأمصار والبلاد، وأرسلوا إلى العسكر، وأعلنوا أنهم يعزمون الذهاب إلى الأستانة في معية جمع من العسكر، وأنهم سيتحدثون عن عدم رضاهم عن الظلم والبغي، وأنهم لم يخرجوا إلا مضطرين، وأنهم لن يسلبوا مال أحد، وقد أرسل رجال ثقات لاستطلاع أحوال على باشا، وبعد الاستطلاع عين أبشير باشا في منصب على باشا. وكما قال حيدر أوغلو شرع علي باشا في تخريب الأناضول وجمع الأشرار حوله من كل حدب وصوب، وهاجم القرى، وأغار على الآمنين، يقول نعيما في آخر هذا العنوان: ويجب أن نبين في السنة القادمة أحوال واردر علي باشا.[١١٥]

قول العرب:"إذا يئس الإنسان طال لسانه"، "الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين"

وردت هاتان المقولتان في الجزء الرابع تحت عنوان قتل واردر علي باشا

يقول نعيما: سبقت الإشارة إلى أن علي باشا امتنع عن دفع المال الذي حددته السلطنة، وأنه جمع حوله ثلة من العلماء- وطائفة من الشعب وسلكوا سبيل المخالفة لأوامر السلطنة. ولما علمت الدولة

[١١٤] تاريخ نعيما، ج٣،ص:١٤٩,١٥٠

[١١٥] تاريخ نعيما، ج٤، ص ٢٤٦.

بذلك منحت أيالة سيواس إلى أبشير باشا. وكان أبشير باشا قد عين من قبل أميرًا للجيش، وكانت الأوضاع في إمارة سيواس مضطربة، بيد أن الأمر بتعيين أبشير على باشا المرسل إلى أيالة سيواس كان خفية، وقد صدرت الأوامر له باتخاذ التدابير اللازمة من أجل خلع واردر على باشا، وكانت تربطه وشائج صداقة قديمة مع واردر علي باشا، وقد أظهر واردر علي باشا أول الأمر امتناعا عن تسليم السلطة إلى أبشير باشا، وقال: "إذا اقتضى الأمر سأقاتل في سبيل دفع هذا الظلم" بيد أن ميرا خو شعبان أغا أكد له صدور هذا الفرمان الهمايوني، وقاله له: "إما رأسه أو رأسك".

ولما علم واردر على باشا بعزم أبشير باشا على تسلم أيالة سيواس خرج لاستقباله وأرسل إليه: "أنا لست متمردًا ولا عاصيًا، طالما أنه صدر فرمان سلطاني بذلك، بيد أن لى دعوى مشروعة وسأعمل على إيصالها إلى العتبة السلطانية". ثم ذكر المؤرخ نعيما في آخر الخبر أن أبشير باشا أذن له بالذهاب إلى إستانبول، ثم أرسل في عقبه من قبض عليه في الطريق، يقول نعيما: "وبعد القبض على واردر علي باشا قال أبشير باشا على استحياء: ليس لدى رغبة في إطالة الكلام، سيشنق علي باشا بموجب القرار الذي صدر من الدولة وسترسل رأسه إلى استانبول.[١١٦]

ثم ذكر العبرة من هذه القصة فقال تحت عنوان "العبرة":

لم يمض وقت طويل حتى ذهب أبشير باشا إلى الأستانة، وتدرج حتى وصل إلى منصب الوزارة وقتل في أعقاب ذلك، فقد اندلعت أحداث شغب داخل القصر، وأطلق متهور سكران النار على يوسف أغا وأرداه قتيلًا، وفي أثناء تلك الفوضى كُسر أبشير باشا ولقي حتفه، وكان ذلك **"جزاء وفاقًا"**[١١٧] على ظلمه وبغيه.[١١٨]

٤. الأمثال التي ساقهاعلى سبيل التهكم والسخرية:

قول العرب:"الحكم لمن غلب"

وظّف هذا المثل العربي في أثناء حديثه عن صراع العثمانيين والصفويين على مدينة بغداد،[١١٩] يقول نعيمًا:
كان فتح بغداد أمرًا عسيرًا، وقد أراد العثمانيون السيطرة أولا على شهر زور (كردستان)، وأرادوا الإفادة من القوات التي انشقت عن حاكم أردلان أحمد خان فحشدوهم لمواجهة العجم، وكان رؤساء القبائل في كردستان وشيوخها يوالون القزلباش قائلين: **"الحكم لمن غلب"**، ولما هاجمت القوات العثمانية قوات العجم هجومًا عنيفًا ولاحت بوادر النصر انحازت الطوائف الكردية إلى العثمانيين، بيد أن العجم بذلوا قصارى جهدهم في الدفاع عن المدينة، وقُتل العديد من القادة العثمانيين، واضطر العثمانيون إلى فك الحصار عن المدينة، فتحكم العجم في المدينة وأعادوا تخريبها.[١٢٠]
قول العرب: "خالف تعرف"، "يشار إليه بالبنان"، "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

وظّف نعيما هذه الأقوال العربية في الجزء الخامس من تاريخ نعيما، تحت عنوان: في النزاع بين أهل الطريقة وأتباع قاضي زاده أفندي.

---

[١١٦] تاريخ نعيما، ج ٤، ص ٢٧٧.

[١١٧] سورة النبأ، آية:٢٦.

[١١٨] تاريخ نعيما، ج ٢ ص٢٧٧، ص ٢٧٨.

[١١٩] شهدت بغداد وبلاد الرافدين حروبًا عديدة بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية منذ فتح السلطان سليم الأول بغداد بعد معركة جالديران عام ١٥١٤م، وكان الفتح الثاني لبغداد عام ١٥٣٤م بقيادة السلطان سليمان القانوني، ودامت الحروب بينهما حول بغداد أكثر من مائة عام. انظر شوقي أبو خليل، تشالديران، دمشق ٢٠٠٥، دار الفكر، الطبعة الأولى،ص: ٢٢.

[١٢٠] تاريخ نعيما، ج:، ٣ص: ٥٣.

يقول نعيما: من المعلوم أنه قد حدث نزاع فكري بين علماء الظاهر وأرباب الطريق الذين كانوا يسلكون مسلك التصوف، وقد وقع بين الفريقين منذ عصر الخلفاء الراشدين جدال ونزاع بل اندلعت بينهما حروب وقتال في كل من مصر والعراق وسائر البلاد الإسلامية وبين أتباع الفريقين، ولم يستطع أي من العلماء التوفيق بين الرأيين، وقد حاز بعض الشيوخ شهرةً واسعة في الأناضول عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بعض القضايا الدينية ومحاربة البدع، وقد أثيرت في أثناء ذلك النزاعات ومحاربة البدع، وكان من قادة فريق علم الظاهر الشيخ قاضي زاده أفندي، ومن علماء التصوف الشيخ سيواسي أفندي، وقد مَهَّدا لإذكاء نار النزاعات والخلافات القديمة بين علماء التصوف وبين علماء السلف. وقد كتب كاتب چلبي في كتابه دستور العمل عن هذين الشيخين، فيقرر أن شيخ سيواسي أفندي من شيوخ الطريقة الخلوتية وهو ابن شيخ عبد المجيد بن شيخ محرم بن زيلي وأنه قدم إلى إستانبول، واشتهر شهرة واسعة إبان عمله واعظًا في المسجد الجديد الذي شيده السلطان أحمد، وأنه توفي في جمادى الآخرة عام ألف وتسعة وأربعين، وله رسالة تتحدث عن الأسرار الإلهية والحقائق الربانية، وقد تخلص بمخلص شيخي في أنشوداته وفي نظمه، وكان يقرأ سورة الفاتحة بألحان جميلة تبهر السامعين، وقد نقل الناس كراماته وطارت شهرته بين أرباب التصوف، وقد نسبوا إليه عديدًا من الكرامات العجيبة، ومن ذلك ما نقله محمد أغا أنه قال فعل الشيخ ذات يوم لي شيئًا عجيبًا، فعجلت بالحضور في الليلة التالية إلى مجلسه فحكى لي أن حضرة الإمام علي كرم الله وجهه قد حضر إلى مجلسي، وأعلمني من العلوم الخفية، وأفاض علي من الأنوار الإلهية وأعلمني علم الظاهر والباطن.

أما قاضي زاده أفندي فقد ولد في بالى كسير لأحد القضاة واسمه الشيخ محمد أفندي، وكان أحد طلاب الشيخ محمد البرگوي، وقد حصل العلوم الشرعية على يده، ثم هاجر إلى إستانبول، واهتم بتحصيل العلوم وملازمة الشيوخ، وانضم إلى الصوفية، واهتم بعلوم التخلي والتحلي، بيد أن علوم التصوف لم توافق مشربه، فسلك مسلك العلوم النظرية، واشتغل بتدريس العلوم في جامع مراد باشا ثم صار واعظًا في مسجد آيا صوفيا، وقد جاوز الخمسين من عمره، وقد دارت بين هذين الشيخين معارك كلامية وشتائم وملاسنات، وهاكم الأبحاثَ التي كانت غير قابلة للتفاوض بين الفريقين:

الأول: منع التعمق في العلوم العقلية والرياضية التي تبحث عن حقائق الأشياء وأصولها.

الثاني: حياة الخضر عليه السلام.

الثالث: عدم جواز قراءة القرآن بالألحان.

الرابع: بحث الرقص (الرقص الصوفي).

الخامس: بحث حل وحرمة الدخان والقهوة والمحدثات.

السادس: بحث إسلام والدي الرسول صلى الله عليه وسلم.

البحث الثامن: إيمان فرعون

البحث التاسع: الاختلافات حول الشيخ محيي الدين بن عربي قدس الله سره.

البحث العاشر: لعن يزيد بن معاوية.

البحث الحادي عشر: البدعة

البحث الثاني عشر: زيارة القبور.

البحث الثالث عشر: صلاة البراءة والرغائب والنوافل مع الجماعة.

البحث الرابع عشر: تقبيل يد وقدم الكبار والانحناء عند السلام.

البحث الخامس عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

البحث السادس عشر: الرشوة.

وقد ذهب قاضي زاده أفندي في هذه المباحث إلى طرف وتمسك الشيخ سيواسي أفندي بطرف آخر، فوقعا بين الإفراط والتفريط وحدث النزاع والجدال بين تلاميذ الشيخين وأتباعهما، وكانت الدولة في أوائل عهد السلطان مراد تموج بالاضطرابات والاختلافات وتكثر فيها الفتن ويعم فيها الفساد، وكان المرحوم السلطان مراد يعزم على إصلاح شؤون البلاد وحسن تدبيرها مستعينًا بأصحاب العقول السديدة، فاختار بين الوزراء من كان يتصف بالشدة والحزم وعزل من دون ذلك، فشرع في تطبيق الأحكام الشرعية التي دعا إليها أتباع قاضي زاده أفندي، فأغلق المقاهي وحرم الدخان، وقتل من الشعب والجند من يتعاطى الدخان، وعلا نجم قاضي زاده أفندي، وبلغت شهرته مبلغًا عظيمًا، وسلك أتباعه وتلامذته مسلك "خالف تعرف" حتى ينالوا شهرة مثله، وقد أوجب قاضي زاده أفندي القتل لكل من خالف أوامر السلطان في تحريم الدخان وغلق المقاهي، وقد رد على معارضيه في تحريم الدخان أنه لم يرد في حقه نص قطعي الدلالة بأن الشرع أوجب طاعة الحاكم وأن الشرع أوجب القتل في من خرج على أمر الحاكم، وصار الشيخ ممن يشار إليه بالبنان. ومن المضحكات في هذا الصدد أن أحد العوام سأل شيخًا من أتباع قاضي زاده أفندي قائلا أيها الشيخ إن لم تفرقوا بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة فلما لا تحرمون هذه الملابس، ونكتفي بلبس الإزار والرداء فأعيا الشيخ جوابًا.[١٢١]

٥. الأمثال التي ذكرها على سبيل التعليل:

الآية الكريمة:"أو متحيزًا إلى فئة"[١٢٢] قول العرب:"الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين"

وردت الآية الكريمة والمقولة العربية تحت عنوان استيلاء الشاه صافي على الحلة.

يقول نعيما : حشد الشاه صافي قواته إلى بغداد وحاصرها ونصب المدافع حولها، وكان الوالي العثماني في الموصل دون دعم من الجيش العثماني، وكان الشاه سيمر من مدينة الحلة، فأرسل إبراهيم باشا إلى الشام طالبًا الإمدادات، وكرر استغاثاته إلى أمير أمراء حلب، وكانت أعداد القوات العثمانية في الفلوجة صغيرة، فأقام الشاه الجسور على نهر الفرات وعبر إلى الحلة، وحاصرها وشرعت المدافع القوية في دكِّ المدينة، وهاجم جنود العجم المدينة، ولم تصل الإمدادات العثمانية، وكان لا طاقة للقوات العثمانية المحاصرة في بغداد بمقاومة الهجوم والحصار ونقص الإمدادات فقاتلوا حتى آخر رمق، وسادت حالة من اليأس وتصرفوا طبقًا لمقولة: **"الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين"**. أو كانوا يفرون من المواجهة متحيزين إلى جماعات كما قال الله تعالى: **"أو متحيزًا إلى فئة"**[١٢٣]

قول العرب:"كثُر جور عمالك فاعدل أو اعتزل" قول الرسول صلى الله عليه وسلم:"ازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس" قول العرب: "العوام كالهوام"

ساق نعيما المثل العربي الذي يتشابه مع السياق الذي ذكر فيه:" كثر جور عمالك فاعدل أو اعتزل" عند حديثه في ملحق كتابه عن واقعة شيخ الإسلام فيض الله أفندي، فقد أورد هذا القول ونسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مخاطبًا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما كان

---

[١٢١] تاريخ نعيما، ج٥،ص:٥٥،٥٤،٥٣.

[١٢٢] سورة الأنفال، آية: ١٦

[١٢٣] تاريخ نعيما، ج٣، ص: ٥٩.

واليًا على مصر، وشكا القبطي من ظلم ابن عمرو بن العاص،[١٢٤]تحدث في هذا الصدد عن تعاظم نفوذ شيخ الإسلام فيض الله أفندي، وعن سطوة المنتسبين إلى دائرته، وقد أفضى ذلك إلى سخط العوام، **والعوام كالهوام**، وكان الأولى به أن يزهد فيما أيدي الناس كما ورد في الحديث الشريف:" **وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس**"[١٢٥]إن اقتصار الوظائف العليا على أقارب شيخ الإسلام والمنتسبين إليه أسخط الناس وحملهم على التمرد، وقد أفضى ذلك إلى القبض عليه بعد فراره وقتله وعدد من أولاده.[١٢٦]

الفصل الرابع: مستوى النقد في كتاب تاريخ نعيما

لم يكن مصطفى نعيما مؤرخًا يدون الأحداث التاريخية وتسلسلها فحسب وإنما كان مؤرخًا ذا فكر إصلاحي يشخص الداء ويرى ما خلف الكواليس ويسرد العبر المستقاة من الوقائع، فنظر في سالف أمجاد الدولة العثمانية، ورأى حالها المتردي، فحذر من الكوارث التي ستحل بها في المستقبل إن توانت عن اجتثاث الخلل الذي أصابها عسكريا وإداريًا وماليًا واجتماعيًّا. ويبدو واضحًا من كتاب نعيما ومقدمته أن نقده شمل كل مؤسسات الدولة بدءًا من القصر حتى المؤسسات الدينية، رغم أنه كان موظفًا في القصر العثماني وأول من صدر بحقه فرمان رسمي يقضي بتعيينه مؤرخًا رسميًا للدولة العثمانية، وكان أسلوب نقده الأوضاع السياسية والعسكرية والمالية والاجتماعية والفكرية في الدولة يتأرجح بين الشدة والضعف كما اتضح من الكتاب، فكان أسلوب نقده يشتد ضراوة كلما ابتعد عن العصر الذي عاش فيه وعن رجالات الدولة الكبار الذين يعيش بين ظهرانيهم، والأمر على اخلاف ذلك تمامًا كلما تناول العصر الذي عاشه؛ فقد التمس العذر للدولة العثمانية التي عقدت المصالحات بعد هزيمة فيينا، وشبه ذلك بصلح الحديبية الذي عقده رسول الله مع المشركين ومنعوه من دخول مكة وأداء مناسك الحج والعمرة، ووظف الأحاديث النبوية التي وردت في صلح الحديبية، ولا ننسى أن مصطفى نعيما كان يواجه شدائد ومصاعب بسبب انتقاده الأوضاع الداخلية في الدولة، وقد أسفرت هذه المضايقات عن عزله من وظيفته في القصر العثماني، وهموا بسجنه، ثم قرروا إبعاده عن اسطنبول إلى جزيرة كريت، ثم عُدل هذا القرار إلى النفي إلى بورصه بعد التماس زوجته، ومكث مدة عام في بورصه ثم عفا عنه الصدر الأعظم وأذن له بالعودة إلى اسطنبول مرة أخرى، في حين كان نقده شديدًا عندما تناول ظاهرة تدخل النساء في إدارة شؤن الدولة منذ عصر السلطان محمد الرابع، وفصل القول في الحرب الشعواء التي كانت بين أم السلطان محمد الرابع من جهة وجدته من جهة أخرى، كما أسهب في الحديث عن ظاهرة قتل الإخوة التي كانت سارية في القصر العثماني ونقدها نقدًا لاذعًا، وانتقد انغماس السلطان مراد الرابع في الملذات الحسية، ووظف في كلٍ الأمثال التي تعبر عن ذلك، وأحسن توظيفها، وقد شملت أفكاره كل نواحي الحياة في الدولة العثمانية، بدءًا من الإصلاح السياسي وحتى الإصلاح الاجتماعي على النحو الآتي:

١. الإصلاح السياسي:

أكد مصطفى نعيما على ضرورة أجراء إصلاحات سياسية عميقة تشمل المؤسسات العليا التى سرى الفساد في أوصالها ونخر عظامها، فاقترح سياسات إصلاحية تعتمد على مايمكن تسميته ميثاقًا سياسيًا يحدد به العلاقة بين السلطان والمجتمع، مثل مؤسسة السلطنة والصدارة العظمى والإدارة والجيش، يقول نعيما: لا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل وحسن السياسة.[١٢٧]قد أكد إبراهيم متفرقة ذلك في تصديره كتاب نعيما في

[١٢٤] تارخ نعيما،ج٦، ملحق الكتاب،ص:١٤.
[١٢٥] ابن ماجه ، سنن ابن ماجة. حديث رقم (4102)
[١٢٦] تاريخ نعيما، ج٦، ملحق الكتاب،ص:١٥.
[١٢٧] نعيما، ج١، ص: ٣٩ ـ ٤٠.

النسخة التي طبعها في مطبعته. واقتبس مصطفى نعيما هذا الرأي عن كاتب جلبي ومن قبله ابن خلدون[١٢٨] يقول كاتب جلبي : إن أساس اجتماع الجنس البشري بغية تأسيس الدولة والملك يبنى على أساس العدل الذي يجب أن يحكم مكونات المجتمع، فلا ملك إلا بالرجال، ولا رجال إلا بالسيف، ولا سيف إلا بالمال، ولا مال إلا بالرعية، ولا رعية إلا بالعدل.[١٢٩]

وقال مصطفى نعيما عن العدل، إن العدل هو العاصم من انفصام عرى البنية الاجتماعية المؤسسة على العسكر والمال والرعية والعدل، وحذر من إهمال قانون العدالة واتباع رجالات الدولة الكبار سبيل الظلم والجور فذلك حتمًا سيفضي إلى زوال الشوكة وانقراض الدولة.[١٣٠]

وكان السلطان مراد الرابع مولعًا بنوع من الفراء يسمى السمور، يجلب من روسيا، ويستخدمه في فرش القصر وفي ملبسه، واختار لنفسه نوعًا من الثياب المرصعة، وخرج عن حدود الشرع والعقل واشغل باللهو والإسراف والرشوة.[١٣١] واتفق المؤرخون على أن الإصلاح في الدولة لن يجدي نفعًا إلا بالعدل. فقد اتفق الفقهاء على أن إقامة العدل هو القيمة المركزية في الحكم.[١٣٢]

وفي زمن محمد الثالث ألغي القانون الذي يقضي بتكليف الأمراء بإدارة الولايات ليتدربوا على شئون الحكم وأمر بتحديد إقامتهم في غرف مخصصة لهم في جناح داخل القصر لا يبرحونه، ونتيجة الخوف من القتل أصبح عدد من الأمراء يعانون من اضطرابات نفسية، وصار ولي العهد يخرج من قصره ليتولى سدة الحكم مباشرة دون خبرة سابقة، وقد أدى ذلك إلى تقوية سلطة الصدور العظام والإنكشارية ونساء القصر وأغواته.[١٣٣]

٢. إصلاح الجيش والمؤسسة العسكرية:

سلط مصطفى نعيما الضوء على حالة التردي التي كان يحياها الجيش العثماني بسبب أمور عديدة، منها: تدخل نساء القصر في إدارة الجيش واتساع نفوذ الإنكشارية وتدخلهم في عزل السلاطين وتنصيبهم، وشدد نعيما على ضرورة اختيار القيادة القوية الحكيمة والحرص على انضباط الجيش في الحروب والاعتماد على العقلاء من أهل الرأي السديد.[١٣٤] وأكد في مقدمة كتابه على أهمية التآلف بين رجالات الجيش، وساق أمثلة على ذلك، منها التآلف الذي أوجده صلاح الدين بين رجالاته وكان ذلك سببًا في تمكنه من هزيمة الصليبيين، وقد سبقه في ذلك كاتب جلبي، إذ قال بعد أن شخص الخلل الذي اعترى جيش الإنكشارية وعدد أسباب الفساد: يلزم معاقبة الجناة والمتمردين المسئولين عن ضعف الدولة وضرورة تنظيم الجيش وترتيبه واعتماد أهل الكفاءة وتقليص عدد الإنكشارية الذين صاروا عبئا على الدولة وترشيد النفقات وضبط نظام التيمار والكف عن ظلم الفلاحين .[١٣٥]

٣. الإصلاح المالي:

ارتبط الإصلاح المالي في رأي مصطفى نعيما بالإصلاح العسكري ارتباطًا وثيقًا لكونهما سببين رئيسين في حدوث الأزمات السياسية، كما يتوقف نجاح معظم المشاريع الإصلاحية على هذين العاملين في منظومة التغيير، فهو من الضرورات الخمس التي أشار إليها ابن خلدون وعدها عصب الحياة ومن أسس قيام الدول والممالك، قال ابن خلدون: لا عز للملك إلا بالرجال، ولا قوام

---

[١٢٨] ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل، (د ت) ص:٣١٨ ـ ٣٢٠.
[١٢٩] كاتب جلبي، دستور العمل،ص: ١٢٣ ـ١٢٨.
[١٣٠] نعيما، ج١، ص:٢٩.
[١٣١] نعيما، ج٢، ١٧٢.
[١٣٢] د. ماجدة مخلوف، الدولة العثمانية من الإصلاح إلى الحداثة، ص: ٧٤.
[١٣٣] د. ماجدة مخلوف، المرجع السابق، ص: ٤٥،٥٣.
[١٣٤] نعيما، ج١، ص:٤٤، ٤٥.
[١٣٥] كاتب جلبي، فذلكة جلبي، ج٢، ص:٣٥٩.

للرجال إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمارة. وقد أكد نعيما على ضرورة زيادة العائدات والاقتصاد في النفقات ووجوب حسن تدبير الإنفاق والاعتماد على الأمناء والمتخصصين من موظفي المالية والحد من البذخ والتبذير والإسراف.[١٣٦] وقد سبق قوله في المقدمة: إن العجز المالي والتنافر بين قلوب رجالات الدولة يترك آثارًا وخيمة على الأمم، فندرة المال والشنآن بين رجالات الدولة وجنودها مدعاة لتوقف سلسلة الجهاد، ولا شر أصعب من توقف الجهاد، فكيف تنجو الأمة من شر الكفار.

ونعيما يذهب في ذلك مذهب كاتب جلبي الذي كان أحد مستشاري السلطان محمد الرابع(١٦٤٨ ـ ١٦٨٧) وقدم للسلطان رسالة للإصلاح المالي في الدولة العثمانية ركز فيه على ثلاثة أمور، ضرورة التراجع عن السياسة الضريبية التي جارت على حقوق الفلاحين، وحسن تدبير الخزينة العامة عن طريق التوازن بين النفقات والإيرادات والاعتماد على متخصصين في الشئون المالية.[١٣٧]

٤. الإصلاح الإداري:

دعا مصطفى نعيما إلى الإصلاح الإداري بغية تجاوز الخلل الذي شهدته جل المؤسسات والنظم الإدارية في الولايات والأقاليم، وفسّر الخلل الذي شهدته الإدارة بالترف والبذخ اللذين سار عليهما كبار الموظفين وعدم أدائهم واجباتهم واقترح الاستعانة بالعقلاء وذوي الفكر السديد ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والاستعانة بالوزير العادل والحد من تدخل حريم القصر في الحكم والحد من الرشوة وسن دستور العمل وتعهد العلماء وأهل الرأي بالإصلاح لصيانة نظام الدولة من التردي من القوة إلى الضعف والتفكك.[١٣٨]

وكان كاتب جلبي قد حذر من الرشوة التي اتخذت أشكالا عدة منها الهدية التي شملت كبار رجالات الدولة، وقال : إنها تؤدي إلى فقدان الكفاءة في تولي المناصب الإدارية عن طريق توظيف أصحاب المحسوبية وتأخذ الحق من صاحبه وتعطيه لغيره.[١٣٩]

٥. الإصلاح الفكري:

لم يكن مصطفى نعيما مصلحًا سياسيًا فحسب، بل اهتم كذلك بالإصلاح الفكري، فدعا إلى الحفاظ على التراث الفكري العثماني الإسلامي، ويتجلى ذلك بوضوح في تدوينه عن الصراع بين السلفية والصوفية، ونقله تفصيلا مذاهب وآراء كل فريق، وأفصح عن ميوله لأرباب التصوف، يقول نعيما: من المعلوم أنه قد حدث نزاع فكري بين علماء الظاهر وأرباب الطريق الذين كانوا يسلكون مسلك التصوف، وقد وقع بين الفريقين منذ عصر الخلفاء الراشدين جدال ونزاع بل اندلعت بين أتباع الفريقين معارك كلامية في كل من مصر والعراق وسائر البلاد الإسلامية، ولم يستطع أي من العلماء التوفيق بين الرأيين.

٦. الإصلاح الاجتماعي:

حذّر مصطفى نعيما من الآفات الاجتماعية التي انتشرت في الدولة العثمانية، ودعا إلى إصلاحها، ومنها الرشوة وشرب الخمر والتدخين، وقد عبر عن تأييده فرمان تحريم الخمر الذي أصدره السلطان مراد الثالث، فذكر المثل العربي "الخمر أم الخبائث"، وقال: الخمر أم الخبائث وأصل الفتن، والسلطان بذلك يرفع لواء الشرائع وينكس أعلام الشنائع.

---

[١٣٦] نعيما، ج١، ص: ٤٠ .
[١٣٧] كاتب جلبي، دستور العمل،ص:١٣٤،١٢٩.
[١٣٨] نعيما، ج١، ص:٤٥ـ٥٠.
[١٣٩] كاتب جلبي، ميزان الحق في اختيار الأحق، دستور العمل

خاتمة

خلصت الدراسة إلى الآتي:

كانت نظرة مصطفى نعيما للتاريخ ترتكز على أن التاريخ ليس مجرد ماض انتهى، بل هو جزء كبير من النهر الهادر التي تتدافع بين شطآنه أمواج الحضارات، فالماضي ينسكب في الحاضر، ويذوب الحاضر بين معبري الماضي والمستقبل، فالتاريخ في رأيه ليس مجرد أحداث جامدة، بل إن كل واقعة تحمل بين ثناياها عبرًا ودروسًا يجب أن ينتبه إليها، حتى تسير سفينة الدولة في أمان وسط الأمواج المتلاطمة من الحروب والاضطرابات.

كانت الأمثال التي ساقها مصطفى نعيما في كتابه ضربًا من ضروب الأدب السياسي، الذي يحمل بين ثناياه إيحاءات رمزية عندما يعجز الحال عن التصريح بالخلل الذي يريد تشخيصه وعلاجه، فكانت الأمثال التي ساقها رسائل موجزة تلفت الانتباه إلى المشكلة التي يعرض لها.

تفاوتت الأمثال التي ساقها نعيما ووظفها في كتابة الأحداث التاريخية بين التطابق التام مع السياق، أو التشابه في بعض الأوجه أو المخالفة التامة مع السياق، ولا ننكر أن تركيته كان تدفعه أحيانًا إلى ليّ عُنق المثل حتى يوظفه مع الحدث التاريخي الذي ساقه فيه.

كان مصطفى نعيما صريحًا ماسنحت له الفرصة دون مجاملة أو رياء، فقد دعا إلى إصلاح المؤسسة العسكرية وفرقة الإنكشارية على وجه الخصوص على الرغم من أن والده كان أحد أغاوات الإنكشارية في عصره.

برع مصطفى نعيما في تصوير الأحداث الداخلية والخارجية في الدولة العثمانية، فنقل أحداث حركات التمرد في استانبول والولايات العثمانية التاربعة لها، وذكر تفصيلًا عللها ودوافعها ونتائجها، فكان تاريخه مرآة صادقة للمدة الزمنية التي أرخ لها.

أثبتت الدراسة تأثر فكر نعيما الإصلاحي بمن سبقه من المؤرخين العرب والفرس والترك على حد سواء، فكانت أفكاره الإصلاحية إسلامية المنبع، وأثر فيمن جاء بعده من المؤرخين الترك ولا سيما مؤرخي القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وألفينا ذلك واضحًا في أحمد جودت أعظم مؤرخي الترك طرًّا.

توصي الدراسة بترجمة تاريخ نعيما من النسخة التركية العثمانية لتكون كشافًا للمدة التي أرخ لها بشغف وصدق، وعونًا على معرفة التاريخ التركي الداخلي والخارجي في المدة التي أرخ لها نعيما.

ثبت بالمصادر والمراجع

- **في العربية:**

ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ستة أجزاء، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٢.
أبو الهلال الحسن بن عبدالله العسكري، جمهرة الأمثال، جزءان، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الحديث،١٩٨٢.
أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار االشروق، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.
اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين والمصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٢.
جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر،المزهر في علوم اللغة، المكتبة العصرية، القاهرة ١٩٩٨م.
جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ج٤، القاهرة ١٩٧٤.
ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣.
شوقي أبو خليل، تشالديران، دار الفكر، الطبعة الأولى، دمشق ٢٠٠٥.
عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، دمشق ١٩٨٨م.
عبدالرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار الجيل د.ت.
عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق ١٩٦١م، دار إحياء التراث العربي.
ماجدة مخلوف (دكتور) الدولة العثمانية من الإصلاح إلى الحداثة، االطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢١.
محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، دار التأصيل، الجزائر ١٩٨١.
محمد بن حازم الباهلي، ديوان الباهلي، ترنيب محمد خير البقاعي، دمشق ١٩٨٢.
محمد بن حبان التميمي، صحيح ابن حبان، بترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، عمان، بنت الأفكار الدولية،بدون تاريخ.
نور الحق تنوير، أمثال القرآن الكريم وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير، دار العلوم، القاهرة ١٩٧٦.

- **في التركية العثمانية:**

بروسه لي محمد طاهر، عثمانلي مؤلفلري، استانبول، مطبعة عامرة،١٣٣٣هـ.
علي جانب، نعيما تاريخي، ترك أدبياتندن نمونه لري، إسطنبول ١٩٢٧.
قوجي بك، قوجي بك رساله سي، إسطنبول، أبو الضيا مطبعه سي، ١٣٠٣هـ.
كاتب جلبي، تقويم التوراريخ، إسطنبول، مخطوطة الخزانة السليمانية، (د ت) رقم ٢٣٩٩.
كاتب جلبي، دستور العمل لإصلاح الخلل، إسطنبول، تصوير أفكار، ١٢٨٠هـ.
كاتب جلبي، فذلكهء كاتب جلبي، إسطنبول، جريدهء حوادث مطبعه سي، ١٢٨٧ هـ
مصطفى نعيما، روضة الحسين في أخبار الخافقين، ستة أجزاء، مطبعة عامرة،إسطنبول ١٢٨١ هـ.

في التركية الحديثة:

Ahmed Refik [Altınay], Âlimler ve Sanatkârlar, İstanbul 1924.
Ahmet zaki pakalın.son sadrazamlar ve Başvekiller,Istanbul , 1944.

Ahmet Zeki Pakalın, Tanzimat Maliye Nazırları, İstanbul, ts. (Kanaat Kitabevi), II.

Asaf Hâlet Çelebi, Naima: Hayatı, Sanatı, Eserleri, İstanbul 1953.
Ebüzziyâ Tevfik, Numûne-i Edebiyyât-ı Osmâniyye, İstanbul 1329.
Erhan Afyoncu, “Osmanlı Müverrihlerine Dair Tevcihat Kayıtları I”, TTK Belgeler, XX/24 (2000),.
Hüseyin Nihal Atsız, Âlî Bibliyografyası, İstanbul 1968.

İNALCIK, Halil (2006), ‘’Osmanlı Tarihinde Dönemler’’, Türkler, Cilt:I, Ankara.
İsmail Hakkı UZUNÇARŞILI (2011), Osmanlı Tarihi, (6.Baskı),Cilt: IV/ II, Ankara: TTK Yay.
Mehmet Ali ÜNAL, (2011), Osmanlı Tarih Sözlüğü, İstanbul: Paradigma Yayınları
Mehmet İPŞİRLİ, (2006), “Naîmâ”, DİA, Cilt: XXXII, İstanbul, 316-318.
Mehmet İpşirli, NAÎMÂ MUSTAFA EFENDİ (2014), Tarih-i Naîmâ, , TTK, Cilt: I-V .
I/1 (1949).

Necdet- ÖZTÜRK, Murat YILDIZ, (2013). İmparatorluk Tarihinin Kalemli Muhafızları Osmanlı Tarihçileri– Ahmedi’den Ahmed Refik’e, İstanbul(ts): Bilge Kültür Sanat Yay.
Nihad Sâmi Banarlı, Resimli Türk Edebiyâtı Târihi, İstanbul 1976, II.